مصرع كليوباترا

تأليف

احمد شوقي بك

مطبعة مصر

الى صاحب السمو الملكى الأمير فاروق

ولى عهد الدولة المصرية

فاروقَ يا أزكَى نباتِ الوادى

ولَمْحةَ الآباء والأجدادِ

ويا مناطَ العهد من « فؤادِ »

إلى اليد المأمولةِ الأيادى

أرفع ما قد وَسِع اجتهادى

وَرْدَ الرُّبا وزَنْبقَ الوِهاد

حوادثٌ قديمةُ الميلاد

فِضْنَ عن الملوك والقُوّادِ

وصِرنَ وحىَ شاعرٍ وشادِ

وفتنةَ اليَراع والمِداد

يعطِفْن كلَّ طيِّبِ الفؤاد

تَهُزُّه نجيعةُ الأمجاد
ورَوْعةُ المَقادر العوادى
وما خَلَوْن من شُعاعٍ هادِ
يُبَيّنُ الغَىَّ من الرشاد
ومن قصيدٍ مِلْءِ كل نادِ
عَفّ البيوت نَزِهِ الأوتاد
تُسيغُه مسامعُ الزُّهّاد
وقَصَصٍ مُستَحدَثٍ فى الضاد
يُؤَلِّفُ التمثيلَ بالإنشاد
فى وطنٍ على الفنون غاد
مَسرَحُه كان بلا عِماد

والدُكَ المُعانُ بالسّداد

أقام رُكنيْه فكان البادى

فان تقبّلتَ وذا اعتقادى

جزَيتَ إخلاصىَ واحتشادى

لجيلك الناهض بالبلاد

شوقى

تمهيـــد

(١) زمن الرواية

الأيام الأخيرة في حياة كيلوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد
بين وقعة « أكتيوم » البحرية وانتحار كيلوباترا

(٢) مكانها

في الاسكندرية وأرباضها

(٣) أشخاصها

ا — الأشخاص التاريخية

كيلوباترا
مارك أنطونيوس
أكتافيوس قيصر
قيصرون — ابن كيلوباترا من يوليوس قيصر

ب — الأشخاص الموضوعة

أنوبيس — الكاهن الأكبر
زينون — أمين مكتبة قصر كيلوباترا
حابى — مساعدو زينون
ديون — مساعدو زينون
ليسياس — مساعدو زينون

هيلانه	وصيفة كيلوباترا و بينها و بين حابى غرام
شرميون	وصيفة أخرى
أوروس	رومانى فى معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه
أولمبوس	طبيب رومانى فى بلاط كيلو باترا
أنشو	مضحك الملكة
غانميز	ساقيها
حبرا	عرافها
أياس	شاديها
أخيل	قائد الاسطول المصرى وربان أنطونياد سفينة كيلوباترا
بولا	شاعر
أغا القصر	

حـ — النكرات المسرحية

جنود وقواد مصريون ورومانيون . راقصات . عزاف

الفصل الأول

المنظر الأول

« فى مكتبة قصر كليوباترا — حابى وديون وليسياس جلوس الى عملهم »
« يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد »

يومُنـا فى أكتيُوما ذكرُه فى الأرض سارْ
إسألوا أسطولَ روما هل أذقنـاه الدَّمار !

***

أحرز الأسطولُ نصرا هزّ أعطافَ الدّيار
شرفًا أسطولَ مصرَ حُزْتَ غاياتِ الفَخار

***

صارتِ الإِسكندريهْ هى فى البحر المَنار
ولهـا تاجُ البريهْ ولها عرشُ البحـار

***

حابى : إِسمعِ الشعبَ دُيونُ كيف يوُحون اليهِ
ملأ الجوَّ هُتـافاً بحيـــاتَىْ قاتليْـهِ
أثّر البهتانُ فيه وانطلى الزورُ عليه
يا له من ببَّغاء عقلُـهُ فى اذُنيْـهِ

ديون: حابي سمعتُ كما سمعتَ وراعني ... أن الرَّميَّةَ تحتفي بالرامي
هتفوا بمن شرِبَ الطِّلا في تاجهم ... وأصار عرشَهمو فراشَ غرام
ومشى على تاريخهم مُستهزئاً ... ولو استطاع مشى على الأهرام
حابي : أتذكُرُ يا ديون اذ انطلقنا ... الى الميناء نلتمسُ الهواء
وكان البحرُ كالميْتِ المُسَجَّى ... وكان الليلُ للميتِ الرداء
ديون: نعم وهناك آنسْنا سَحَابا ... وراء الليل جللتِ السماء
فقلتَ انظر ديونُ ترَ الجوارى ... يطأْن الماء همساً والفضاء
وأقبلتِ البوارجُ بعد حينٍ ... سَوَائبَ لا دليلَ ولا حُداء
رَجَعْنَ رجوعَ فُرسانٍ أصابوا ... من الغزو الهزيمةَ والبلاء
فلم نسمعْ لملاّحٍ هُتافاً ... يُبشرُ بالقدوم ولا نِداء
ولم نرَ فوق ساريةٍ سِراجاً ... ولا من ثَقْبِ نافذةٍ ضياء
حابي : فماذا قلتَ ؟
ديون: قلتُ ديونُ إنى ... أرى الأسطولَ بالويْلات جاء
دخولُ الظافرين يكونُ صبحاً ... ولا تُزْجَى مواكبهم مَساء
فلما أصبحَ الصبحُ انتبهنا ... نرى الأسطولَ أزينَ ما تَراءى
تبرَّجت البوارجُ بعد عُطْلٍ ... وهزَّت فى ذوائبها اللواء

ورُدّد في المدينة أن روما عفا أسطولُها ومضى هَباء
فضجّ الناسُ بالبُشرَى وكدّوا حناجرَهم هُتافاً أو دُعاء
هداكَ اللهُ من شعبٍ برىءٍ يُصرّفُهُ المُضلّلُ كيف شاء

« تدخل هيلانة »

ليسياس : « هامساً لحابى »

حابى صهٍ قد ظهرتْ هيلانهْ وأقبلت بالطلعة الفتّانهْ
تنفحُ كالزّنبقة الغَيْسانهْ

حابى : ليسياسُ أنهاكَ عن المجَانهْ هيلانةٌ فى القصرِ قَهْرمانهْ
لها وقارٌ ولها مكانهْ

هيلانه: سلامٌ لك يا حابى

حابى : سلامٌ لكِ هيلانه

هيلانه: أُمِرْتُ أَن أقول للأمين ستحضُرُ المَلْكةُ بعد حينِ
فبلِّغِ الأمرَ الى زينون

حابى : سيدتى سأفعلُ أمرُكما ممتثَلُ

هيلانه: تقَرِنُنى بربّتى ؟ ذلك ما لا أقْبَل

حابى : هيلانَ أنت مَلْكتى وأنت وحدَكِ المَلَكْ

هيلانه: بل كلوباترا وحدَها لم يَحْوِ شمسَيْن الفَلَك
إن أنت لم تؤْمِنْ بها فلستَ لى ولستُ لك

« تخرج هيلانة ويدخل زينون من باب آخر فى هيئة تفكير واضطراب »

حابى : ذاتُ الجلالةِ سيدى قد آذنَتْنــــا بالزيارة

زينون : هذه حجرتُها لا عدِمَتْ طِيبَ ريّاها ولا ضوءَ حُلاها

كلَّ يوم تتجلى ساعةً ههنا كالشمس فى عز ضحاها

تدخلُ الدارَ فتنسى مُلكَها بلقاء الكُتْب أو تنسى هواها

« محدثاً نفسه فى ركن قصى من أركان المكتبة »

أما الشبابُ فقد بعُد ذهب الشبابُ فلم يعُدْ

ويحى أمِن بعد السنيـــنَ وقد مرَرن بلا عدد

أوَ بعد طول تجاربى ومكانِ علمى فى البلد

تَجْنى الحسانُ علىّ ما لم تَجْنِ قبلُ على أحد ؟

ديون : « هامساً الى زميلية »

حاب.ليسياس.أُقسمُ أنَّ زينونَ مغرَمُ

فضحَ الشيخَ حبُّهُ والهوى ليس يُكتم

ليسياس: بِمَنِ الشيخُ مولَعٌ ليت شعرى متيّم ؟

ديون : وبمن جُنَّ يا تُرى

حابى — ضاحكا : كلُّ خافٍ سيُعلم

زينون : « مستمراً فى حديث نفسه »

مالى جُننتُ فصرتُ أتـــهم الشبابَ واضطهدْ
لم ألقَ رأساً فاحما إلاّ حملتُ له الحسد
ووجدتُ لاعجَ غيْرةٍ بين الجوانح يتقّد
فكأن ظلمةَ شَعره فى مقْلتىّ هى الرّمد
وكأنما سرَقت ذوا ئبهُ شبابى المفتقَد
ولو أنّ لى ولداً فما ت لما بكيتُ على الولد
حذَراً وخوفا أن يكو نَ بها تعلّق أو وجَد
شكٌّ يعـذّب مهجتى إن المشكِّكَ فى كَبَد

« يلتفت الى حابى ويطيل اليه النظر ثم يناديه »

حابى بنى

« يأتى اليه حابى »

قل ولا تُخْفِ علىّ: هل تُحبْ؟

حابى : أُحبُّ؟ من قال

زينون : سمعتُ

حابى : من روَى لك الكذِب؟

زينون : بُنَىّ ليسَ بالفتى إذا أحبّ من عَجَب
مَن لم يُحبَّ لم يؤدّ للشباب ما وجب

حابى : « متهكماً »

لكن أأدّعى الهوى وليس لى منهُ سبب؟

زينون : حاب بُنَىَّ لا تَرُغْ مِنَ السؤال وأجب

لولا الهوى لم تَكُ فى ظل الشباب تكتئب

ما بال بِشْرِكَ امّحَى ولونِكَ الغضّ شُحِب؟

وللدموع من دمٍ قيلكَ تكادُ تنسكِب ؟

حابى : « ساخراً »

أفِقْ زَينونُ واصحُ من الغوانى أبعد الشيب تخدعكُ النساء؟

زينون : « غاضباً »

أتعلم يا غلامُ علىّ عشقاً ؟

حابى : دع الإنكار قد بِرح الخفاء

زينون : ومن أنباكَ ؟

حابى : انت؟

زينون : وكيف ؟

حابى : تَهْذِى فتفضحُكَ الوَساوسُ والهُذَاء

كمحمومٍ يبوح وليس يَدرى تكشّفَ عن سرائره الغِطاء

أبعد العطف والإشفاق يشقى — بصحبتك الشبابُ الأبرياء ؟
فكلُّ فتى رأيتَ زعمتَ صبا — يُخامرُه من الرُّقطاء داء ؟
وما كعمى الشيوخ إذا أحبُّوا — وليس وراء غَيِّهم بلاء

زينون : « لنفسه »

إلهي قد فُضحتُ وضلَّ شيبي — وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

« لحابى »

صدقتَ بُنيَّ بي داء دخيلٌ — وليس إلى الدواء لِيَ اهتداء
عليَّ تلوُّثِ الأفعى ، فهلْ لي — من الأفعى ونَكْزتِها نَجاء ؟
أرى ولَهَا وأحسبُهُ جنوناً — كسانيه على الكِبَرِ القضاء

حابى : وتُعطَى حين تلقاها ابتساماً — وأنطنيوسُ يُعْطَى ما يشاء
صباحُهما مغازلةٌ وصيدٌ — وللأقداح والقُبَلِ المساء
أترضى أن يكون سريرُ مصرٍ — قوائمهُ الدعارةُ والبِغاء ؟
أتهدِمُ أُمةً لتَشيدَ فرداً — على أنقاضها ؟ بئس البِناء ؟

بنى ، شيخى ، اجترأتُ عليكَ فاصفحْ
فلم أك أجترى لولا الوفاء



الهى قد فضحت وضل شيبى   وضاعت حكمتى وخبا الذكاء

(صفحة ٩)

لقد آن التكاشفُ والتَّواصى بما توحى الكرامةُ والإباء
تعالَ إلى جماعتنا ، فإنَّا جنودَ الحق يجمعنا لِواء
شبابٌ نحن يعْوِزُنا شيوخٌ بهم فى المدْلهِمَّةِ يُستضاء
زينون : كفى ، إنى نفضتُ يدىَّ منها ومُزِّقَ عن بصيرتىَ الغِشاء
حابى : أبى زَينونُ قد بُحتُ من السر بمكنونى
وما غيرُكَ زينونُ على السر بمأمون

« يشير الى ديون وليسياس »

أخى هذا أتينىٌّ وخِلِّى ذاك مَقْدونى
كِلا الخِلَّيْن للحق كما أدعوه يدعونى
كِلا الخِلَّيْن ذو جِدٍّ بأرضِ النيل مدفون
فلَيْسا فى هوى مصرٍ وفى طاعتها دونى
فدينا الوطنَ الغالِىَ بالجنس وبالدين
ولم نصبرْ على حكمٍ لروميَّةَ ملعون
ولسنا حزبَ أكتافٍ ولسنا حزبَ أَبطون
ولا نَخْضَعُ للبأسِ ولا نُخْدع باللين
ولم يَبقَ على الوُدِّ لروما غيرُ زينون

زينون : معـــــاذ اللهِ ! عدُونى   من العصبة عُـدُونى
كسالكِ اللهُ يا روما   لباسَ الذلّ والهُون

حابى : أبى ، أنتَ الطبيبُ وكلُّ داء   له فى صَيْدليّتك الدواء
فَهِيّ لها ابنَ ساعته وعجِّلْ   يُعَجِّلْ فى السماء لك الجزاء
لعل سمومَك الذُّعفَ المواضى   من الأفعى وفتنتها شفاء

« يدخل جندى من حرس الملـكة معلناً قدومها »

الحارس : الملـكهْ !

زينون : « كأنما يفيق من حلم »

الملـكهْ ! لا بَرِحَتْ مملَـكهْ !
ودام مجدُ المملـكهْ !

« تدخل كيلوباترا ومن ورائها ابنها قيصرون بين وصيفتيها شرميون وهيلانه ومن ورائهن أنشو مضحك الملـكة وأغا القصر »

الملـكة : تحيّتى لأمناء المكتبه   وشيخهم أعلى الشيوخ مرتبه

زينون : سلامُ السَّماواتِ فى مجدها   على رَبَّة التاج ذاتِ الجلالْ
تمنيتُ رأسين لا واحـداً   إذا مَسَّتِ الأرضَ هامُ الرجالْ
أُطأطِئُ رأساً لمجـد النبو   غ وأَخفِضُ رأساً لمجد الجمال

حابى . ديون . ليسياس : « يتلفت بعضهم الى بعض أسفاً »
أنشو : « للوصيفتين وقيصرون »

أما يُغنيهِ عن رأسيـ ـنِ رأسٌ فيه وجهانِ ؟
فحيناً هـو مصريٌّ وحيناً هـو يُونانى
وفى مجلسِ يوليوسَ وأنطونيوسَ رُومانى
وإن لاقى أغا القصـ ـر فنوبيٌّ وسودانى !

« يدخل الكاهن أنوبيس من باب مقابل »

الملكة . كاهنَ المُلْكِ سلامٌ لا عدِمنا بركاتِكْ
صلِّ من أجلى ولاتنـ ـسَ صغارى فى صلاتكْ
. أنوبيس : رَبَّةَ النيـل التحيا تُ الزكيَّاتُ لذاتِك
حرَستْ تاجَكِ إيزيـ ـسُ ومدَّت فى حياتِك
الملكة : هُوَذا ابنى قيصرونٌ يتلقَّى نفحاتِك
الكاهن : « لنفسه »

إيزيسُ كيف أُصلِّى على ابنِ يوليوسَ قيصر ؟
أبوه عالٍ ولـكنْ فرعونُ أعلى وأكبر

« يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف في اكتيوم »

الملكة : « عابسة »

كاهنَ المُلْكِ ، سادتى، هل سمعتمْ رَنَّةَ الصوتِ فى جوانب قصرى ؟

أنو بيس : هم رعايا مليكتى
الملكة : ليت شعرى
أللخير تجمّعوا أم لشرّ ؟
شرميون: الجماهيرُ يا مليكةُ بالشّطّ يموجون فى حُبورٍ وبِشْرِ
سَرّهم مالقيتِ فى اكتيومٍ من ظهورٍ على العدوّ ونصر
لا يقولون أو يُعيدون إلاّ نبأً بات فى المدينة يسرى
الملكة : يالإفك الرجالِ ! ماذا أذاعوا كذبٌ ماروَوْا صُراحٌ لَعمرى
أىّ نصر لقيتُ حتى أقاموا أَلْسُنَ الناس في مديحى وشكرى؟
ظَفرٌ فى فم الأمانىّ حلوٌ ليت منه لنا قُلامةَ ظُفْر
وغداً يعلمُ الحقيقة قومى ليس شىء على الشعوب بِسِر
شرميون :
ربةَ التاج ذلك الصنع صُنعى أنا وحدى وذلك المكرُ مَكرى
كثرتْ أمسِ فى الإياب الأقاويـــلُ وظَنَّ الظنونَ من ليس يدرى
فأذعتُ الذى أُذعتُ عن النصر وأسمعتُ كلّ كوخ وقصر
خفتُ فى خاطرى عليك الجماهيرَ وأشفقتُ من عِداً لك كُثْر
فاغفرى جُرْأتى ، فيارُبَّ ذنبٍ يَتعب العذرُ فيه مهّدتِ عذرى

الملكة : شرميونُ آهدئى فما أنت إلا مَلَكٌ صيغ من حنانٍ وبرّ
أنتِ لى خادمٌ ولكن كأنا في المُلمَّاتِ أهلُ قربى وصهر
إنما الخادمُ الوفىُّ من الأهـــل، وأدنى فى حال عسرٍ ويسر
إسمعى الآن كيف كان بلائى وانظرى كيف فى الشدائد صبرى
أيها السادةُ اسمعوا خبَرَ الحر ب وأمرَ القتال فيها وأمرى
واقتحامى العُبابَ والبحرُ يَطغى والجَوارى به على الدَّمِ تَجرى
بين أنطونيو وأكتافَ يومٌ عبقرىٌّ يسيرُ فى كل عصر
أخذتْ فيه كلُّ ذاتِ شِراع اهْبةَ الحرب واستعدّتْ لِشرّ
لا ترى فى المجال غيرَ سَبُوحٍ مُقبلٍ مدبر مِكَرٍّ مِفرّ
وترى الفُلكَ فى مُطاردة الفُلـــك كنسرٍ أراد شرًّا بنسر
وتخال الدُّخانَ فى جَنَباتِ الجوّ جُنحاً من ظلمة الليل يسرى
ودَوِىَّ الرياح فى كل لُجّ هزَجَ الرَّعْدِ أو صياحَ الهِزَبْر
وترى الماء . منه عودُ سريرٍ لغريقٍ ، ومنهُ أحشاءُ قبر
يغسِلُ الجُرحَ شرَّ مَن غَسَل الجر ح ويأسو من الحياة ويُبرى
كنت فى مركبى وبين جنودى ازنُ الحربَ والأمور بفكرى
قلت روما تصدّعت فترى شَطـــراً من القوم فى عداوة شطر

بَطَلاها تقاسمَا الفُلكَ والجيـــشَ وشبَّا الوغى ببحرٍ وبر

وإذا فرّقَ الرُّعاةَ اختلافٌ علَّموا هاربَ الذئاب التَّجَرّى

فتأملتُ حالتىّ مَليّا وتدبرت أمرَ صَحوى وسكرى

وتبينّتُ أن روما إذا زا لت عن البحر لم يَسُد فيه غيرى

كنت فى عاصف، سللتُ شِراعى منه فانسلّت البوارجُ إِثْرِى

خلَصت من رَحى القتال ومنّا يلحق السفْن من دمار وأسْرِ

فنسِيتُ الهوى ونُصرةَ أنطنيو سَ حتى غدرتُه شرَّ غـدر

علِمَ الله قـد خذلت حبيبى وأبا صِبيتى وعَونى وذُخرى

والذى ضيّع العروشَ وضحّى فى سبيلى بألف قُطْر وقطر

موقفٌ يُعجب العلا كنتُ فيه بنتَ مصرٍ وكنتُ مَلكةَ مصر

زينونُ فصّلتُ الخبرْ عن القتال والسفرْ

وقلتُ عن إيابى وخُطةِ انسحابى

ما ليس يعلمُ البـلدْ ولا درى به أحـدْ

فهـل لديك الآنا ما يَجلبُ السُّلوانا

من الأمالى المُسلِيهْ والصُّحُف المُلْهِيَـهْ

زينون: عنـدىَ يا مولاتى روائعُ الآيـــات
تسعون ألف سِفْرِ قد كُتِبتْ بالتِّبرِ
من كل رَقٍّ عجبِ فى العلم أو فى الأدب
قيصرُ أنطونيو وهب لنا مناجمَ الذهبْ
وكلٌّ غالٍ مدّخرْ من الجواهر الأُخَرْ
أسلابه من حربه وَطعنـــــهِ وضرْبه
هـدِيةٌ من قيصر لبَلدة الاسكندر

أنشو : إذا كانت الكتْبُ فى شرعكم نظيرَ الجواهر كُفْءَ النّضارْ
فانى الغنىُّ بدُرّ الفوا قع حين يُرصِّعُ تِبرَ العُقار
وما الكتْبُ قوتى ولا منزلى فما أنا سوسٌ ولا أنا فار

الملكة : حكيمٌ لعمرى على جهله ظريفُ الحديث لطيفُ الحِوار

زينون: « مغيظاً »

ولكنها حكمةُ السائمـا ت وفلسفةٌ غيرُ بنت اختبار
وكلتاهما لا تَعَـدّى الشعو رَبحُبِّ البقاء وخوف الدمار

أنشو : رويدكَ مولاىَ بعضَ السِّبا ب فليس السّبابُ سبيلَ الكبار

هَبِ الليلَ طال فقطّعته بِدَرْسٍ وأصبحتَ تُفْنى النهار
وأقبلتَ بالكتب تطوى الطِّوا لَ وتَنشرُ فى إِثْرِهنَّ القِصار
وزِدْتَ على الأرضِ علمَ السما ءِ كبارَ كواكبِها والصغار
إِذا ما نفقتَ ومات الحما رُ ، أبينك فرقٌ و بين الحمار !

زينون : « غاضباً »

ماذا تقول السيده ؟

الملكة : « ضاحكة » واحــدةٌ بواحده

أبِى أنو بيسُ أرجو

أنو بيس : بل تَأْمُرِينَ مُطاعه

الملكة « مشيرة الى باب محراب مفتوح ومتجهة اليه »

هــذا مُقامُ صلاتى وهيكلى للضراعه
ولى خطايا كثيرٌ لا تَبرَحُ البالَ ساعه
فادخلْ وصلِّ لأجلى فمنكَ تُرجَى الشفَّاعه

« يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حابى وديون وليسياس »

ديون : « متهكماً »

إسكندريةُ صرتِ رَفرَفَ معبدٍ من كلِّ ناحيــة عليه سِتارُ

أختَصَّ آلهـةُ الجـلال بسرّه | وتفرَّدَ الـكُهّانُ والأخبار
ما خَطبُهم حابى ، وماذا بَيّتوا
ليسياس : | ما هـذه الألغاز والأسرار ؟

حابى :

أرأيتَ وقعةَ أكتيوم وما جرى | فيها وكيف تصرّفَ المِقدار !
ليسياس إنك قد سمعت حديثَها | كالسحر فى الآذان حين يُدار
تبدو الخيانةُ فيه وهى أمانةٌ | ويُرى الثباتُ عليه وهو فِرار
وعلمت كيف نجت وكيف انفض عن | أنطونيو أسطولها الغدّار

ليسياس :

واليوم حابى أين أنطونيو وما | فعلت بفَلّ جيوشه الأقدار ؟
قل لى : أحىٌّ فى البلاد مشرَّدٌ | هـو أم له قبرٌ بمصرَ يُزار ؟

حابى : ليسياس تسألنى تجاهل عارف
ليسياس : | بل جاهلٍ لم تأتهِ الأخبار

حابى :

لم تأتِ حتى جاء فى آثارها | للحبِّ أجنحةٌ بهن يُطار
ويقال بل أخذته تحت شِراعها | ونجا بهِ فُلْكٌ لهـا مِحضار
تجرى الرياحُ بما تشاء قلوعُه | ويسيرُ فى طاعاتهِ التيار

ويُقالُ غَضبانٌ عليها عاتبٌ   ويُقالُ بل حَنِقُ الفؤادِ مُثار
وعلى صفاء العاشقيْنِ سحابة   وعلى سلامِ الصاحبيْنِ غُبار
آلَى وأقسم لا يُرى فى قصرها   حتى يُقوَّمَ مجدُه المنْهار
إنِ البلاء أجلُّ من ألاّ يُرَى

ديون :   عجبٌ أتخفَى فى الهشيم النار ؟

حابى :

أنطونيو منا بأقرب نُكنةٍ   يدعو من الرومان من يختار
ويُعِدُّ أُهبتَه ليوم حاسم   فى البر يُغسلُ عنه فيه العار
ويكون ميدانَ الرحى ومدارَها   تلك التلالُ وهذه الأسوار
فهناك خاتمةُ الصراع وموقف   إما الدَّمارُ بهِ وإما الغار

« يسمع صوت أنوبيس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد »

إيزيسُ ذاتَ الحجابْ   مالكةَ العالمينْ
شعبُك لاقى العذاب   من عَبَثِ الظالمينْ

***

يا من خفضنا الجباه   لعزِّها ساجدينْ
صغنا اليك الصلاة   من أدمعِ النادمينْ

« ستار »

المنظر الثانى

« فى احدى غرف القصر الملكى ورحى الحرب دائرة بين اكتافيوس وانطنيوس على أسوار الاسكندرية — حابى فى الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة: أتدْخلُ حابى مَقاصيرَها بلغتَ من الجُرأةِ المنتهَى
ستعلَمُ أمركَ ذاتَ الجلا لة

حابى : بل أمرتْ أن ترانى هنا

هيلانة: عجبت لهـا ولتدبيرها كذلك قـد أمرَتنى أنا
إذن هى تجمعنا يا جَحو دُ وتَجزيكَ عن سَخَطٍ بالرضى

حابى : هيلانةُ خَلِّيكِ من ذكرها حديثُ الأفاعى طويل المدَى

هيلانة: رُوَيدكَ حابى لقد أحسنَتْ فمالى أراكَ أسأتَ الجزَا ؟

حابى : هيلانةُ ياطِيبهَا خَلْوَةً وإن قَلَّ فى ظِلِّها المُلتقَى
تَعالىْ هلانة نُعطِ الغرا مَ عنّا الحديث ونَشْكُ الجوَى
أنيلِى يدىَّ يدَيْكِ اللَّتيْـــنِ نعيمىَ بينهما والشقا
هَلمَّ هِيلانةُ

هيلانة: حابى أَرا كَ بكُنهِ الأمورِ قليلَ المُدَى
من القصر لا تَلتمِسْ خَلْوَةً وإن هو من كلّ حسٍّ خلا

سمَاء القصور لها أذُنا — ن وأرضُ القصور بعيْنٍ ترَى

حابى : هلانةُ لا تقطعى نَشوَتى — بقُرْبكِ أو حلُمِى باللقَا

أمها تَخَيَّلتُ صَفوَ الحيا — ةخلقتِ على جانبيهِ القذَى؟

هيلانة : حَنانَكَ حابىَّ لا تتهِمْ — ولا ترمِنى بعقُوق الهوى

ولُذْ بالأناة فان الأنا — ةصَدَيقُ الصّواب عدوُّ الخطا

فلو كنت وحدكَ شُغلَ الفؤا — د لهان البلاء وقلَّ العنا

ولكنْ حقوقُ كلو باطْرةٍ

حابى : وأى حُقوقٍ لها تُدَّعى!

(تدخل كيلوباترة)

كيلوباترا: حُقوقُ الولايةِ ياذا الغلا — مِ، حقُوقُ الرِّعايةِ ياذا الفتى

وَصبرى عليكَ لأجل الفتا — ة

حابى : « ماخوذاً »

إلهى لقد سمِعتْ ما جرى

الملكة : وسَدّى المسامعَ حبّاً بها — وأنتَ تُعينُ علىَّ العدا

وتُرسِلُ فى العَرشِ هُجْرَ الكلا — م وتُخْفِى الحفيظةَ لى والقلِى

ولكنْ لِنَنْسَ الذى قد مضى — فمثلُكَ تاب ومثلى عفا

دَعِ الذَّوْدَ عن مِصرَ لى إننى أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطِعِ الفِتْيةَ العابثيـــــن أُسُودَ الكلامِ نعامَ الوَغى

« يدخل أنوبيس »

أبى قد أتيت

أنوبيس: سلامٌ عليكِ شُعاعَ المدائنِ نورَ القرى

الملكة : أبى قد تلاَقَى هنا العاشقا ن وكان بتدبيرىَ الملتقى
فباركْ فتاتى وباركْ فتا كَ وكَفكفْ هواه إذا ماغلا

أنوبيس: حياتك حابى كنيسيةٌ يُشا كلُ أوّلُهـا المنتهى
مقيَّدة باليقين القنوعِ وما أَمرَ القلبُ أو ما نهى

الملكة : كزَهرِ المقاصير لم ينتفعْ بطولِ الأديم وعُرضِ الثّرى

أنوبيس: وتحسبُ فى الكتب علمَ الحيا ة وما منهُ فى الكتب الاشَدَا

حابى : لعلى كذى الشك فى حرصهِ يَقيسُ الطريقَ ويُحصى الخُطا
أرى راكبَ الشك ملَّ المجا ل طويل العنان بعيدالمدى
ولوشكَّكت فى السراج الفرا شُ لكان سلاماً عليها السّنا

أنوبيس: ولكن تمرُّ على ما ترا ه تُجاوزُه نحو ما لا يُرى
وهذا الملاكُ « مشيراً الى هيلانة »

كمولاته طليق الإرادة حرُّ الحِجَى
تَتَمَشَّى على جَنَباتِ الحيا ة كما يتمشى شُعاعِ الضحى
يخوض الوحول ويغشى الحلَى ويأوى الحضيض ويعلو الذُّرا
ويخترقُ العَرَصاتِ الفِسا حَ وينفُذ من ضَيِّقات الكُوَى
ويرتعُ بين أُنوف الأسو د ويلعب بين عيون الظّبا
ولكنهُ طاهرٌ حيث طا فَ نَقِيُّ الذّيول عفيف الخُطا
الملكة : أبى قد نسينا حديث القتا ل فمنذ الصباح تدورُ الرحى
وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة رهنُ الوغى
هنالك يُقضى مصيرُ البلا د فإما البقاء وإما الفنا
ومن عجبٍ كاد يمضى النها رُوما من رسولٍ ولا من نبا

« يدخل جندى من جنود أنطونيو منهوكا يعلوه الغبار »

الجندى : سيدتى جئتُكِ بالأخبار لقد جرت بسعدك الجوارى
انتصرت جنودُنا الضّوارى تحت لواء البطل المِغْوار
قيصرُ أنطونيو على آثارى
الملكة : يا فرحًا ما أَعْظَمَ البشارهْ ! حلّتْ على أُكتافيو الخسارهْ
«وأُكتيومُ» قد أخذنا ثارهْ خذ يا رسول هذه البُشارهْ

« تمنحه بدرة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب »

شرميون: سيـــدتى يا طربًا ! سيـــدتى يا فرحًا !
دارتْ على أكتافِيو وجيشِ أكتافْيُوالرَّحى

هيلانة : مَلْكَتى هل تسمعين؟

« يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد »

الملكة : « منصتة » صوت بوق وهتاف

« تقوم الملكة الى النافذة وترهف أذنيها وعينيها »

هو واللهِ نشيدى والمُغنُّون جنودى
والمخاريقُ التى تَخـــفُقُ من بُعْدٍ بنودى
ولديْها فارسٌ مُلـــتَثِمٌ شاكى الحديد
يَتراءى فى عنان الـ جَوِّ كالبُرْجِ المَشيد
هو أنطنيوسُ ذُخْرى وطَريفى وتلـيدى

« الى شرميون وهيلانة »

أَيها البِنتان هـذى ليـلةُ العيدِ السعيدِ
صَلِّيـا مثلَ صَلاتى واسجُدا مثلَ سُجودى

« يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة »

هو ذا أنطونيو من جانب الميناء أَقْبَـلْ
هيكلٌ يحمِلُهُ من صافنات الخيل هيكل

الرِّداءُ الإرْجُوانىُّ على عِطفيْه مُسبل
مَبسِمٌ يضحكُ من تحـــت جبينٍ يتهلَّلْ
هو ذا يدنو

شرميون: أتى واللهِ

هيلانة : مولاتى ترجَّل

الملكة : « تبتدر الباب »

أيها البنتان هذى ليلةُ العيــدِ السعيدِ

أنوبيس: « هامساً لحابى »

حابى ، أُحيطَ القصرُ بالذئاب وبى من السُّخط عليهم مابى

« للملكة »

سيدتى تأذنُ فى انسحابى ؟ وتأذنين مَلْكتى لحابى ؟

الملكة : « ضاحكة »

إلى الأفاعى ؟

أنوبيس: لا ، إلى المحراب

الملكة : رَأيَكما فى المُكْث والذهاب

« يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة مادا يديه »

أنطونيو: إِلَهتى !

الملكة : قيصرى !

أنطونيو: سلطانتى !

الملكة : مَلِكى !

أنطونيو: عندى لكِ اليومَ يا دُنياىَ أخبارُ

الملكة : عَجِّلْ فديتُكَ

أنطونيو: لا ، لابدَّ من ثمنٍ !

الملكة : كرائمُ المال ؟

أنطونيو ما للمال مِقدارُ

« يمد اليها جبينه فى ضراعة »

رُدِّى على هامتى الغارَ الذى سُلِبتْ فقُبلةٌ منكِ تَعلوها هى الغارُ

« تقبله »

كيلوباترا:

اليومَ تَعلم رُوما أن ضَرَّتها تُقَلِّدُ الغارَ مَن تَهوَى وتختار

واليومَ تعلمُ روما أن فارسَها جيشٌ بمفرَدِه فى الرَّوْعِ جرّار

انطونيو سيدى، هل نحن فى حُلُمٍ؟ أسالمٌ أنت ؟ لا أَسرٌ ولا عار ؟

أنطونيو :

لو قلتَ قتلٌ لكان القولُ أشبهَ بي | أيدى الكُماة وفى كفىّ أظفار
أسرٌ؟ وَهِمتِ كلوباترا، أتظفرُ بي | كأسُ المنايا على الأبطال دوّار
الحربُ تعلمُ والأيامُ تشهدُ لى | أنى شديدٌ على الأقران جبّار
لوكنت شاهدتى والحربُ جارفةٌ | والصفُّ تحتىَ بعد الصفّ ينهار
قد جُنّ تحتي جوادى فهو عاصفةٌ | وجُنّ نَصْلِي بكفى فهو إعصار
رأيتِ حملةَ صدقٍ غيرَ كاذبةٍ | لا السَّيْلُ يحملها يوماً ولا النار
لما صَدمتُ جناحيهم وقلبهمو | عن الخيام وعن أوكارهم طاروا
وما وجدتُ لأكتافيو وقادته | ريحاً ، ولم أتبيّنْ أيّةً ساروا
ومالتِ الشمسُ أو كادتْ فراجعَنى | شوقٌ إليكِ قديمٌ لداء سوّار
حتى رَجعتُ ولو أنى طردتهمو | لبات أكتافُ عندى وانقضى الثار

كيلوباترا:

تركتهم لغدٍ ؟ هذى مجازفةٌ | غدٌ غيوبٌ وأسرارٌ وأقدار

أوروسُ أنت بفنّ الـــقتال أعلَمُ منّى
الحربُ فنّك أورو | سُ والسياسةُ فنى
إن كان « مَرْكُ » إلها | فأنت فى الحرب جنّى
فكُنْ بحقِّكَ عَونى | وقلْ لقيصرَ عنى



ردى على هامتى الغار الذى سلبت فقبلة منك تعلوها هى الغار

(صفحة ٢٧)

إِنِ المَنَى لم تُقَصِّرْ بل قَصَّرَ المتمنى
فلو صَبَرْتم قليلاً وسرتمو فى تأنى
أُرحتمونى وروما من الخصام المُعَنِّى

أوروس : سيدتى لم تقصِدى لما عذلتِ سيدى
عَجِلتِ فى الحُكم على ما لم ترَىْ وتَشهدِى
لقد حَملنا حملةً كمثلها لم يُعهَد
استنفدتْ بأسَ القنا وقُوَّةَ المُهَنَّد
فكان لا بد لنا نُرجى القتالَ للغد

أنطونيو: كِلُوباتْرَا دعينا من تَجَنِّيكِ كلوباترا
أتبكين على الصبر وقومٍ حُرموا الصبرا ؟
وبى من صبرك الواهى جراحُ الأمس لم تَبرا
لقد مَنَّيتُ أسطولى لدى أُسطولكِ النصرا
حليفٌ كنت أرجو أن سأشتدُّ به أَزْرا
فعَبَّا تحت أعلا مكِ حتى زَحما البحرا
وقد كانا الجناحيـن وقد كنتُ أنا النَّسرا
وأجرَى الفُلْكَ أكتافيو فأجريتُ كما أجرى
صَففْناها وأرسلْنا بها تقتحمُ الجمرا

كلانا مارسَ الحـر ب وعانى الـكرَّ والفرّا
فلما آذتْنا الحربُ بالمعركة الكبرى
تَسللْتُ بأسطوللك من غمرتها الحرّى
فقلتُ انسحبتْ ضعفاً وقال الناسُ بل غـدرا
ولو كان لهم قلبٌ كقلبي التمسوا العذرا

كيلوباترا : أنطونيوسُ ملـكى أنطنيوسُ سيّدى
ليس العبوسُ سُنةً لوجهك الطَّلْق الندى
ولستَ من يغضبُ فى ليـل الشّراب والدّد
ولستَ للكاس على شاربهـا بالمفْسِد
قلبُك كنزُ الحب والـ رحمـة والتودُّد
وكم حَقَدتَ ثم أصبحـ تَ كأَن لم تحقِـد
ألستَ بالأمسِ وأمــس لفتـةٌ لم تبعُـد
وَهبتَ لى جزيرتى والصفحُ نصف السؤدَد
فاطوِ معى حوادثَ الأ مس ولا تُجَـدّد
وامضِ معى فى لذّةِ الـيوم ودَعْ همَّ الغـد

أنطونيو : كلوباترا بحبّيكِ من التأنيب خلّينا
لقـد سُقتُ وقوّادى اليكِ النصرَ فاجزينا

مُرى بالكاسِ والطاسِ وبالنَّدمان يَسقينا
وبالقَصف وبالعزف وحُـذّاقِ المغنّينا
وما طُيِّب ألواناً وما طاب رياحينا
وقولى الشعر عُلْويّا كما كنتِ تقولينا
وأوحيه إلى شاديك يُلقِيـه فيُشجينا
غـداً نستأنِفُ الحـر بَ ونَطويها ميادينا

انشو : ونَغشاهـا مَخاميرَ ونلقاها مجانينـا !

كلوباترا: مُرْ بمـا شئتَ قيصرُ وأشِرْ كيف تأمرُ
لكَ قصرى وما حوى الـقصرُ كُـلٌّ مُسخَّرُ
ليس شىءٌ وإن غلا عن حبيبٍ يُؤخَّر
لَتكونَنَّ ليلةً آخـرَ الدهرَ تُذكَرَ
لا نُبالى إذا صَفتْ بعـدها ما يُكدِّر
تَحْلُمُ الحُلْمَ لستَ تَد رى بمـاذا يُفسَّر

البِدارَ البِدارَ يا وُصفائى ووصيفاتىَ البـدارَ البدارا
قيصرٌ قيصرٌ هو الآمرُ النا هى على القصرِ فلْيَكنْ ما أشارا
هو يَبغى وليمةً فاصنعوها وانسُقوها كما اشتهى واختارا
أَطلِعوا هذه الشموعَ شُموساً تَذَرُ الليـلَ بالعَشِيِّ نهارا

وأعدّوا الخوانَ قد حُمِّل الأ لوانَ شتّى وجُلِّلَ الأزهارا
واجمعوا بالمُدام شَمْل النّدامَى وأديروا الكؤوسَ والأوتارا
واجعلوها وليمةً وبساطاً يتبارى خلاعةً ووَقارا
مصرُ إن أولمت سَمتْ بالأغانى درجاتٍ وأسمت الأشعارا
لا تَسيروا على ولائم روما سَرَفاً فى الفُسوق واستهتارا
كلّما أولمتْ أساءتْ إلى العق ل وجرّتْ على الحضارة عارا
ولقد تجعلُ النِّمارَ نَداما ها وأُسْد العَرينةِ السُّمّارا

قائد رومانى : « لزميله غاضباً »

أتسمعُ ما تقول عدوُّ روما ؟ قد اجترأتْ على روما البَغِيُّ
أَتحت لوائها وبجانبيْها يخوضُ الحربَ من روما كَمِيٌّ ؟

الآخر: غداً تَلقى وإن غداً قريبٌ عقاباً فى البلاد له دَوِىٌّ

الأول : « لانطونيوس فى عتب وغضب »

أَميرىَ أنطونيو أفى الحق أنَّنا نَبيتُ سُكارَى والعدو مُبيِّتُ ؟

« ينظر اليه أنطونيو نظرة طويلة ثم ينصرف عنه الى كيلوباترا فيهمس القائد »

أَلا إنّه ليلٌ له ما وراءه غرامُك حىٌّ فيه والمجدُ ميِّت

« ستار »

الفصل الثاني

« فى حجرة الولائم بالقصر الملكى ، حيث ترى كيلوباترا ووصيفتاها هيلانة وشرميون ، وأنطنيوس وأوروس وبضعة من القواد الرومان ، وأولمبوس طبيب الملكة ، وأنشو مضحكها ، وغانميز ساقيها ، وحاجب يعلن أسماء القادمين »

أَنطونيو : قياماً نَشرب الخمرَا على حُبّ كلوباترا

كيلوباترا: على حُبك أَنطونيو على الجيشِ على مصرا

قائد رومانى : على روما

كيلوباترا: دَعوا روما ولا تُجروا لها ذِكْرا

فما أَنطونيو منها وإِن كان ابنَها البِكْرا

ولكنْ تحت أَعلامى يَقودُ البرَّ والبحرا

القائد : أَحقٌّ ماركُ أنطونيوسُ مِن روميةٍ تبَرا ؟

« تنظر اليه كيلوباترا فيقرأ فى عينيها ما تريد »

أَنطونيو : أَجلْ أَتبعُ مولاتى ولا أَعصِى لها أمرا

كيلوباترا: على حُبكَ أنطونيو

أَنطونيو : ثلاثاً أربعاً عَشْراً

أنشو : وإِن شئتَ فعشرينَ الى ما فوقها سُكْرا

وإِن شئتَ من الدنيا وصَلْنا الشُكْرَ للأُخرى

قائد رومانى : « لزملائه همساً »

دَعوا أنطونيو إنى أرى السُّكْرَ به أزرَى
لقد كان الفتى الفَطْنَ فصار الحَدَثَ الغِرّا

قائد آخر : « همساً »

سنَلبثُ ساعةً نحتالُ حتى إذا سُلَّتْ عقولهمو انسلَلْنا
فما المُتدَلِّه السِّكِّيرُ أهلا لِتنصُرَه السيوفُ إذا استُلِلْنا

الحاجب :

أياسٌ المُغنِّى وجَوْقَةُ العزّافِ
وراقصاتُ القصرِ

« يدخلون »

كيلوباترا: أهلاً بوفدِ الآلهْ أهلِ الفنونِ النابِهَهْ

الحاجب : الشيخُ زَيْنون
رُبّانُ أنطونياد « يدخلان »

أنطونيو: ماذا عن الأسطول منكَ يا أَخيلُ نَعلمُ ؟
هل خمَدَتْ فتنَتُه أو لم تزَلْ تَضرمُ ؟

أخيل : مَولاىَ إن البحرَ يُخْفى سِرَّه ويكتُم ،

وما نواه فى غـد مثْلُ غد مُستَبْهِم
فلا أقولُ مُقدِمٌ ولا أقولُ مُحجِم
ولا أقولُ ينبرِى للحرب أو يَستَسلِم

كيلوباترا: أخيلُ دَعْنا من غدٍ إن غـداً تَوَهُّم
أخيلُ ما العيشُ سوى ساعةِ صفوٍ تُغْنَم
فلا تَـكنْ كداخل على النَدامَى يلطِم
أتيْتَهـم مُنادماً لم تأتِهم لينَدموا
اليومَ شُربٌ

زينون : وغـداً حربٌ

غانميز : كلامٌ مُحكَم !

الحاجب: بُولا الشاعرْ حـبْرا الساحرْ

كيلوباترا: « ضاحكة »
حَبْرا ، أعندكَ سحرٌ يَشُلّ طاغوتَ رُوما ؟
ويَجْعَلُ الناسَ فيها حِجارةً ورُسوما ؟

« القواد الرومانيون يدمدمون »

أنطونيو : سيدتى لاتجرحى فُؤادِي ولاتَنالى بالأذى أجنادى
وقلّلى السخط على بلادى

كيلوباترا: أنطونيو ما أنت رومانىٌّ ألم تقلْ إنك لى جُندىٌّ؟
أنطونيو : بل وزدتُ أننى مِصرىٌّ وأننى تابعُك الوفىٌّ
ما فى سوى رضاك لى مُضِى

أنشو : تلك واللهِ قضيهْ أصبح الراعى رَعيّهْ
حَكم الحبُّ على قيصرَ والحُب بليّهْ
صار كالشعب وساوَى هَمَجَ الاسكندريهْ!

أنطونيو : حبرا تكلّمْ، ألاعجيبهْ؟ من سِحر مَنفٍ أوسِحرطِيبهْ

حبرا : إلهَ الحرب سامحنى فانى غُلبتُ على أبالستى الغِضابِ
همو لا يَجلِسون على غِناء ولا يتحدثون على شراب!

كيلوباترا : ولكن قيصرٌ يدعوك حَبرا وقيصرُ لا يُرَدُّ بلا جواب
وأنت الكاهنُ العَرافُ فانظر أغيرُ السحر شىء فى الجِراب

حبرا : إذا ما شئتِ مولاتى فإنى أُطالعُ فى الكُهوف وفى الكتاب

كيلوباترا : اُدنُ من قيصرَ حبرا وانظرِ الكفّيْن واقرا

أنطونيو : تعالَ حبرا وقلِّبْ يَدىَّ يُمنَى ليُسرى
لعل أسرارَ كفى كواشفٌ لك سِرا

« يتقدم حبرا ويمعن فى كف أنطونيوس »



ألا ترى لى بقاء ؟   ألا ترى لى عمرا ؟

(صفحة ٣٩)

الاتَرى لى بقاء ؟ الا تَرى لىَ عُمرا ؟

حبرا : ياعَجَبَ الفال ! مولا ى أعجبُ الناس أمرا

حياتُه بيــــديه والناسُ يحيَوْن قَسْرا

إِن شئتَ عشتَ نهارا أو شئتَ عُمِّرْتَ دهرا

قائد رومانى : « الى زملائه همساً »

لو كنتُ منه قريباً لقلتُ فى أُذْن حبرا

حيـــاتُه فى يَديْه أم فى يدَى كيلو باترا !

كيلوباترا: تعالَ الآنَ سَلْ كَفِّي وبَيِّن ما الذى تُخفى

« يتقدم حبرا اليها ويمسك يدها بعنايه وشغف »

حبرا : يالكِ كَفّاً كنقىِّ العاجِ ناعمةٍ كخَمَلِ الدِّيباجِ

لامِسُها من الجحيم ناجِ

« ضحك »

تَفدى الأكُفُّ كلُّها يمينا بيضاء حمراء تَرِفُّ لِينا

كما أَظلَّ الشَّفقُ النَّسْرِينا

أنطونيو: « ضاحكا »

سمِعتِ حبرا مَلْـكَتي كيف ابتكرْ كُلِّفَ أن يَصنعَ سِحرا فشعَرْ

بولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءٌ فى الأثر

كيلوباترا: لقد أعجبكَ الشعرُ وراقتكْ معانيهِ
وما سَرّكَ أنطونيو سُرورى كلُّه فيـه
فما تأمرُ فى حبرا بأيِّ البرِ أجزيه ؟

حبرا : « لانطونيو »
جائزتى يا سـيّدى تقبيلُ هذه اليدِ !

أنطونيو: « ضاحكا »
قَبّلْ ولا تَرَدَّدِ !

« يقبل يديها بين إقدام وإحجام »

حبرا : عجَبٌ عينىَ لا تقَـ وَى على هذا الضياء
هـذه كفُّ إلهٍ جاء فى زِىِّ النساء

كيلوباترا: خَلِّنى مِن زُخرُف المد ح ومِن زور الثناء
ما وراءَ اليــــد يا عرّ افُ من غَيْبِ القضاء ؟
أحضيضٌ يومِىَ الآ خِرُ ـ قلْ لى ـ أم سماء ؟
خاتَمُ الأيام أوْ لىَ باهتمام العظماء

حبرا : مَلْـكتى يومُكِ فى الأيـ ـام منشورُ اللواء
نابهُ الصبح كيوم الـ شمس علْوِىٌّ المَساء

خطَر العزّ عليـه ومشى فيه الإباء
ثم يتلوه بقاء لم يُطاولْه بقاء

أنشو : « لزينون »

رأيتَ الشعرَ قد أجدَى فماذا قلتَ يا فار ؟

زينون : إلهـــتى ومَلاكى كُفّى المُهرّجَ عنى
قد نال منى ولولا ناديكِ ما نال منى

أنشو : سيدتى عبدُكِ أنشو قد صدق
الفارُ فى مَكتبةِ القصر نطق
يقول إن أسرِقْ فزينونُ سَرق !
همّىَ فى الجلد وهمّه الورق
يَسطو على آثار كلّ من سبق!

أنطونيو :

إنى أرى أنشو وأمثالَه زادوا على زينونَ فى الجُرْأَهْ
ياوَيْحَ للشيخ على فضله أصبح فى مجلسهم هُزْأَهْ

أنشو : هَبوه فى الدرس بحراً هبوه فى العلم أمّهْ
لا يخلُقُ العلمُ نفساً ولا يُنبِّه همّه

كم عالمٍ في يد الجا هلين مُلقى الأزمّه

كيلوباترا: أَقِلَّ المَزحَ يا أنشو وأرسلْه بمقدارِ
فلولا الجهلُ ما رُحِـتَ تقيسُ الليثَ بالفار

زينون : ياسماء احفظى ويا أرض صونى
أظهرتْ عطفَها على زينون !

كيلوباترا: يا غانميز هاتِ النبيذْ
هاتِ اسقنى واسقِ الحبيبْ
واسقِ الملا

بولا الشاعر: بنتُ الدِّنانْ أُمُّ الزمانْ
خبّأها فى قَبْوِهِ
ساقى منا

لونُ الفَرَحْ حِنّا القَدَحْ
سِرُّ السرورْ صَفوُ الحياهْ
قُوتُ المُنى

كيلوباترا: قيصرُ ذى سُلافةُ الفيومِ
تُنْمى إلى عقائل الكُروم

مَخبوءة من عهد مصرائيم
قد عُمِّرتْ كعُمُر النجوم
دِنانُ مصر لا دِنانُ الروم !

القواد الرومان : « يدمدمون وتهامسون »

قائد : قولوا يا رومانيّونا تحيا روما

آخر : تحيا

ثالث : تحيا

أنشو : « ضاحكا »

تحيا الخمر يحيا السُّكْرُ

القواد : تحيا روما

جماعة من المصريين : تحيا مصرُ

أنطونيو: أيها الشادى أياسْ بلغ السُّكْرُ مَداهْ
غنِّي شعرَ مَلاكى غننى شعرَ الإله
أنا لا أَطرَبُ حتى أسمعَ « الحبُّ الحياه »

أياس : « مغنياً »

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لرُوحينْا عن الحُب غِنى

غَنِّنَا فى الشوق أو غَنِّ بنا نحن فى الحب حديثٌ بعدنا

* * *

رَجَّعتْ عن شَجوِنا الرِّيحُ الحَنونْ وبعينينا بَكى المُزْنُ الهَتونْ
وبَعثنا من نُفاثاتِ الشُّجونِ فى حَواشى الليل بَرقاً وسَنى

* * *

خَبِّرى يا كأسُ واشهدْ يا وترْ وارو ِياليلُ وحدِّثْ يا سحرْ
هل جَنينا من رُبا الأُنس السَّمرْ ورشفنا من دَواليها المُنَى

* * *

الحياةُ الحبُّ والحبُّ الحياهْ هو من سَرْحتها سِرُّ النَّواهْ
وعلى صحْرائها مَرَّتْ يداه فجرتْ ماءً وظلا وجَنَى

* * *

نحن شعرٌ وأغانٍ غدَا بهوانا راكبُ البِيد حدَا
وبنا الملّاحُ فى اليمّ شدا وبَكَى الطيرُ وغَنَّى مَوْهِنا

* * *

مَن يَكنْ فى الحب ضَحّى بالكَرَى أو بمسفوحٍ من الدمع جرَى
نحن قرّبنا له مُلْكَ الثرى ولقِينا الموتَ فيه هيّنا

* * *

فى الهوى لم نألُ جُهدَ المُؤثرِ وذهبنا مَثلاً فى الأعصُرِ

هوِ أَعطى الحبَّ تاجيْ قيصر　　لم لا أُعطى الهوى تاجيْ مِنا

*
* *

صوت : مرحى مرحى يحيا الفنُّ

آخر : يحيا الشعرُ

ثالث : يحيا اللحنُ

« تقوم كيلوباترا الى شرفة فيتبعها أنطونيوس »

قائد رومانى : « لزميل من زملائه هامساً »

هلاّ نظرتَ إلى الأميرة ؟ إنها　　سكْرَى تعثَّرُ فى خليع عِذارها

آخر :

وتأمّل المفتونَ كيف جرى على　　آثارها وانجرَّ فى تيارها

آخر : « لزملائه حيث يسمعه أوروس وأولمبوس »

وأنظرْ إلى أوروسَ فى تردّدِهْ　　يأبى الهُتافَ معنا لمولِدهْ

أولمبوس : « ساخراً »

أوروسُ مِلْءُ يومه مِلْءُ غدهْ　　فتى تَضِجُّ الحربُ من مُهنَّدهْ

ويَشتهى الأبطالُ فضلَ سُؤدَده　　قد راعنى فناؤه فى سيده

بنفسه وقومـه ومَولِده　　يَغلو غُلُوَّ الـكلب فى تودّده



تلك الدعابة ياطبيب ثقيلة فحذار ثم حذار من تكرارها

(صفحة ٤٧)

يُقيِّدُ الكلب وراء مَرصَده فيحرسُ الدارَ على مُقيِّده

أوروس :

تلك الدُّعابةُ يا طبيب ثقيلة فحَذارِ ثم حَذارِ من تَكرارها

لولا الوليمةُ والشَّرابُ وحُرْمة لأميرة الوادى السعيد ودارها

لنزعتُ من أقصى لهَاتِكَ مُضْغةً كثُرَتْ على الأبطال فى استهتارها

أولمبوس :

أوروسُ !

أوروس :

أولمبوسُ صَهْ برِحَ الخفا ورأيتَ نفسكَ فى مَفاضِح عارها

ماذا خبَأْتَ من السُّموم لملِكةٍ غفَلتْ عن الأفعى ولؤم جوارها ؟

إلاَّ تكنْ علمتْ فانك عندنا جاسوسُ أكتافيو على أسرارها

ما زلتَ منذ وفدتَ تُطلعُه على أخبار قيصر أو على أخبارها

إنا رجالَ الحرب ليس يَفوتُنا لَحْظُ العيون ولا خَفيُّ حِوارها

أولمبوس : « يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد رومانى ويهمس اليه »

أقْصرْ أخى إن الجماعةَ عَربدت فاذا لَجَجتَ لَقَتَّ من أنظارها

إسلَمْ بنفسك فى الظلام ولا تُثِرْ رِيبَاً أخافُ عليك غِبَّ مَثارها

إنى لأخشى الكأس أن تجرى دماً فتصيبَ شيئاً من رَشاش عُقارها

أولمبوس : « لنفسه وهو ينسل الى الخارج »

أوروسُ! أنطونيو! حسابُكما غداً روما الأبيّةُ لم تَنَمْ عن ثارها

« يخرج »

أنطونيو : « من أقصى البهو »

أما للرقص هيلا نةُ فى ليلتنا حصّهْ ؟

ألا نَجمَعُ بين الكا س والنغْمة والرَقصه؟

فهذى فُرصةُ الأُنس وقد لا ترجع الفُرصه

هيلانه : الراقصاتُ يقَمْنا الراقصاتُ يَثِبنا

ولا يدَعْنَ افتنانا ولا يُقصّرْن فَنـا

« تقوم الراقصات برقصة مصرية »

أنطونيو : « قادماً »

مرحى مرحى يحيا الفنّ

صوت : يحيا الرقصُ

آخر : يحيا الحسنُ

أنطونيو :

قد انتصف الليلُ أو فوقَ ذا ك وآذَنَنا بالمُضىّ الدُّجى

ودونَ الخيــام سُرَى ساعةٍ — وعند الصباح تَدورُ الرحى
فهل تَأذَنين لنــا يا مَلا — كُ ؟ فلا بد من سِنةٍ من كَرى
ولستُ أقولُ مَلاكى الودا — عَ ، ولـكن أقولَ إلى الملتقى

كيلوباترا :

مكانَك قيصرُ لا تَذهَبَنّ — ولا تبرَحِ القصرَ أَهلكْ أسَى

أنطونيو :

ذَريني أُعبّئْ للقتال كتائبى — فلى فى غدٍ شأنان فى البر والبحر
ذريني اهيّئْ للاحاديث فى غدٍ — فان غداً يومٌ سيبقى على الدهر
ذريني أَزِدْ تاجيكِ غارَ وقائعى — وأقرِنْ بشعبانىْ جلالهما نَسرى
ولستُ اخافُ الدارعينَ وإنما — أخافُ فُجاءاتِ الخيانة والغدر
وليس كَمِينَ الحرب ما أنا هائبٌ — ولـكن كمِينَ الغدر فى ظُلمة الصدر

« لاخيل »

فياقائدَ الأسطول هل من مَكيدةٍ — تُدبّرُ لى خَلفَ الشّرَاعِ وما أدرى؟

كيلوباترا: إمض إلى الهيجاء أنـــــطونيو كما يَمضى الأُسدْ

إن الأسود فى اللّبَدْ — دونك فى هذا الزَّرَدْ
إمض إلى المجــد ولا — يُقعدْك شُغلٌ فى البلد

المجدُ لا يَسألُ عن صاحبةٍ ولا وَلَد
أنت لروما فى غدٍ وقيْصرونُ بعد غد
والشرقُ سلطانى الذى إكليلُه لىَ انعقَد
يا ليثُ سِرْ ، يا نَسرُ طِرْ عُدْ ظافراً أو لا تَعُد

« ستار »

الفصل الثالث

« معبد فى الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح الى قسمين القسم الاصغر »
« خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة والقسم الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة »
« الكاهن الاكبر أنوبيس وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حقائق وقوارير »
« وهنا وهناك صرر وصناديق يشف بعضها عما فيه من أفاع وحيات ـ باب خلفى »
« يؤدى الى المعبد . ونافذة جانبية تطل على الفضاء »

« فى حجرة الكاهن أنوبيس »

أنوبيس : « يناجى نفسه »

يقولون أنوبيسُ ... وَلوعٌ بأفاعيه
ومشغوفٌ بثعبانٍ ... من الوادى يُربّيه
وفى ناديه حيّاتٌ ... من الجِن تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلـم كما ذُقتُ فَنوا فيه
ألا يا رُب خدّاعٍ ... من الناس تُلاقيه
يَعيبُ السُّمّ فى الأفعى ... وكلُّ السم فى فيه !

« يخرج من الباب الخلفى »

***

« خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس وأوروس »

أنطنيوس: أوروس إنى جَهدتُ مَشيا ... ومَسّنى الضُرُّ والـكلالُ

فهلْ بنا نَستَرِحْ قليلاً　　من قبلِ أن يَدهَمَ الرجال

« يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى »

أوروسُ ماذا دهاني ؟　　حتى نَسيتُ مكاني
أتيتُ ما هَدَّ مجدى　　وحَطَّ رِفعةَ شاني
جَلّلتُ نفسي بعارٍ　　يبقى بقاءَ الزمان
لما حَمَلتُ جوادي　　على الفِرار ازدراني
وضَجَّ مِنىَ سيفي　　وضجَّ منى سِناني
ووَدّتِ الأرضُ تحتي　　لو طُهّرَتْ من عِياني
أنا الذي كان أمضى　　من الحديد جَناني
الشرقُ يَدري نِزالي　　والغربُ يَدري طِعاني
كان الملوكُ عبيدي　　فصِرتُ عبدَ الحسان
ولستُ أولَ حُرٍّ　　إستعبدتْه الغواني

« يسكت لحظة ثم يستمر »

ولم أرَ كالحرب استراح قتيلُها　　وأفضى الى القَيْدِ الأسيرُ المقَيَّد
ولكنْ شقيُّ الحرب والمُصطلَى بها
إذا انفضّتِ الحربُ الطريدُ المُشرَّد

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَهُنْ
عزيزٌ ولم ينزِلْ على القَيْد سيّد

أوروس :

وقارَك قيصرُ لا تَجزعنّ — وخلِّ المقاديرَ تجرِ المدَى
تلقَّ الهزيمةَ ثَبتَ الجَنا — ن كما كنتَ تلقى الفتوحَ العُلا
فما أنتَ أولُ نجمٍ أضا — ء ولا أنت آخرُ نجمٍ خبا
وقد تنزل الشمسُ بعد الصعو — د وتَسقمُ بعد اعتدال الضُحَى
ويا رُبَّ غارٍ عَراه الجُفو — فُ على هامةٍ قد علاها البِلى
أمالك أنطونيو اسوَة — بيوليوسَ قيصرَ أين انتهى ؟
رأيتك والحربُ تبلو الكُما — ةَ فأشهدُ كُنتَ إلهَ الوغَى
وقد كان سَيفُك غُولَ السيو — ف وكانت قَناتُك غولَ القنا
وكنتَ إذا الموتُ أفضى اليـ — ـك تَحدّيتَه فانثنى القَهْقَرَى
وكان جنودُك شَر الجنو — د عليك وخيرَهمو للعدا
فخانت أساطيل أمّلتَها — وجيشٌ عقدتَ عليه الرجا
وخُلِّفتَ فى عَسكرٍ كالنّعا — ج كثيرِ الثُغاءِ قليلِ الغَنَا
فمِن يائس مات قبل القتا — ل ومن خائنٍ فَرّ قبل اللقا

أنطونيو : إذن لم أكنْ فى الوغى بالجبا ن ولا خُنتُ أوروسُ عَهدَ الهوى؟
وتشهدُ أنىَ أنطونيو س وأنى ابنُ روما وأنى الفتى ؟
فان عِشتُ عِشتُ نقِيَّ الجبيـــــن و إن مِتُّ مِتُّ كريم الثنا

« يرى أنطونيو شبحاً فيسأل أوروس مبهوتا »

أنطونيو : أوروسُ !

أوروس : مولاىَ

أنطونيو : تأمَّلْ مَن ترى ؟

أوروس : هذا أولمبوسُ وقد حَثَّ الخُطا

أنطونيو : تُرىَ إلى أين ؟ ومن أين أتى ؟

أوروس : ها هو سارٍ نحونا ها قـد دنا

« يظهر أولمبوس »

أولمبوس : تحيةً قيصرُ

أنطونيو : بل أنطونيو لا غير بل قُلِ الشَّريدَ المُقتَفَى
لا تخدعونى قادراً وعاجزاً كفى غروراً بالوِلايات كفى

أولمبوس : مولاى

أنطونيو : لستُ اليومَ مَوْلَى أحدٍ أكنتا فيوالسيِّدُ والعبدُ أنا

مررتَ بالقصر فكيف ناسُه ؟ هل عن كلو باترا أولمبوسُ نَبا ؟
صَرِّحْ، أَبِنْ قُل غدرت، قل جددت بقيصر الثالثِ دُولَةَ الهوى.
قد صنعتْ بي عند حاجة الوغى ما لم يكنْ يصنعهُ بىَ العِدا
أسطولُها إلى مراسيه أوَى وجيشُها ألقى السلاحَ ونجا
أولمبوس: مولاىَ ! أعفِني
أنطونيو : تكلمْ لا تخفْ
إنى أرى عليك رَوْعَةَ الأسى.
أولمبوس:
مولاى مهلاً فى الظنون واتَّئِدْ إن من الظن اتهاماً وأذى.
أنت على مالك من مُروءةٍ رميْتَ بالغدر أحب مَن وفى
أنطونيو : ماذا تقول ؟
أولمبوس: كيلوباترا انتحرتْ بطَعنة الخَنجر فى صدر الضحى.
أنطونيو :
يالَلسماءِ ! انتحرتْ ! أينَ ؟ أبِنْ ولِمْ ؟ وكيف كان ذاك ؟ ومتى ؟
أولمبوس:
مَرَرْتُ بالقصر ضُحَى اليوم فلم أَجدْ له نَظْما ولا حُسنا يُرى.

بدا لعينيَّ خَلاءٌ موحِشا غيرَ عويلٍ ههنا وههنا

أنطونيو: إنتحرتْ! يا للْخبرْ! ويا لقسوة القدرْ!

إن الأمورَ انتقلتْ من خَطرٍ إلى خطر

ما غَدرتْ وإنما أنا الذى بها غَدر

واخجْلتا من قولهم انتحرتْ وما انتحر!

إذهب أُولمبوسُ ودعـــنى والهمومَ والكدر

ما بجِراحات القلوب للأطبّاء بَصَر

« يذهب أولمبوس »

انطونيو:

روما حنانَك واغفرى لفتاكِ أوّاهُ منك وآهِ ما أقساكِ!

روما سلامٌ من طَريدٍ شارد فى الأرض وَطَّنَ نفسَهَ لهَلاكِ

اليومَ يَلْقَى الموتَ لم يَهتِفْ به ناعٍ ولا ضَجَّتْ عليه بواكى

إن الذى اعطاكِ سلطانَ الثرى لم تُنعمى لوُفاته بثَراكِ

إن الذى بالأمس زَنتِ جَبينَه بالغار عقّك جُهدَه وعصاكِ

يا رُبَّ تاج فى جبينك زاهر عطّلتُ منه مَفارقَ الأملاكِ

الأُمّهاتُ قلوبُهن رقيقةٌ ما بالُ قلبك لم يَلِنْ لفتاكِ!

أَعرَضْتِ غَضْبَى فى الحياة فرحمةً ... لا تَحرمينى فى الممات رِضاكِ
إن كان موتى كُلَّ ما تَبغينه ... فهَناكِ ! هأنذا أموتُ ، هَناكِ !
يا أُمُّ عُـذرُكِ فى اتّهام بُنُوّتى ... بادٍ وعذرِىَ فى العقوقِ كذاكِ
لولا الجمـالُ وفتنة من سحره ... ما حَلَّ فى قلبى هوًى لسواكِ
صفحاً كلوبترا فرُبَّتَ زَلَّةٍ ... قد كنتِ تغتفرين حين أراكِ
لمـا لَقيتُك فى الجمال وعِزّه ... قَهرتْ قُواى الظافراتِ قُواكِ
فنسيتُ فى ناديك ذِكْرَ وَقائعى ... وسَلوْتُ أيامى بيوم لِقـاكِ
سجدَتْ لأعلامى الصَّوارمُ والقَنا ... وأَبَى مُهنَّـدُ لَحْظك الفتَّاكِ
قدتُ الجحافلَ والبوارجَ قادراً ... ما لى ضعفتُ فقادنى جفْناكِ
اخرجتِ أمرىَ واختيارىَ من يدى ... وتَركتنى نفساً بغـيرِ ملاكِ
خلتُ السلامةَ فى نَواكِ فذقتُها ... فاذا الـكوارثُ كلُّهنَّ نَواكِ
عاديتُ قومى فى هواكِ وأضرمتْ ... روما علىَّ الحربَ من جرّاكِ
وشَرَدْتُ فى شرق البلاد وجَدَّ فى ... طلبى عِداىَ بغربهـا وعِداكِ
أغدو على سيف العدوِّ ونارِه ... وأروحُ بين مكامِنٍ وشِبـاكِ
وتلمَّستْ نفسى السيوفُ ورامنى ... فى البر والبحر الـكمِىُّ الشاكى
كانت حياتى للرجالِ أليَّـةً ... واليومَ هُنْتُ فأقسموا بهلاكى

ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهباً فذممتُ عهدكِ واتهمتُ وفاكِ
حتى إذا حُمَّ القضاءُ وراعني عُطْلُ المقاصر من بهاء حُلاكِ
ضَحَّيتُ بالدنيا وقلتُ رخيصةٌ وبذلتُ أيامي وقلتُ فِداكِ

أماناً إلهَ الحرب ما أنت صانعٌ بهذا الحطام المُستباح المُبعثَرِ ؟
لقد ذَلَّ من بعد امتناعٍ كأنه بقيةُ نَصْلٍ أو رُفاتُ غضنفَرِ
صَدعتَ أكاليلي وحطَّمتَ صارمي وجرَّدتَني من أرجواني المظفَّرِ
ولم تألُني هدْماً وكنتَ بنيتَني بناءَ الصَّناع القادر المُتجبِّرِ
ملأتَ سبيلي بالهوى وصروفه ومن يَمشِ في أرض الهوى يتعثَّرِ
تنكَّرتَ حتى اخترتَ لي معْولَ الهوى فليتكَ لم تغضَبْ ولم تتخيَّرِ
أُروسُ غلامي، إنَّ في النفس حاجةً

أوروس :

وعنديَ أقصى طاعة العبد فأْمرِ

أنطونيو :

أُروسُ أرى الدنيا بعينيَّ أظلمتْ وكانت قديماً كالصباح المنوَّرِ
وضاقت بيَ الأرضُ الفضاءُ فكلُّها سبيلُ طريدٍ ضائعِ الدَّمِ مُهدَرِ
غويتُ وأوفى بي على الحُفرة الهوى فخفتُ ومن يركبْ شفا الجُرْف يذعَرِ
قُشَعريرةُ الخوف اعترتْني ولم تكنْ إذا ما اقشعرَّتْ تحتيَ الأرضُ تعتري

مُلئتُ من الأحداث رُعباً فضمَّنى ... اليك وقرِّبْ من إِرارك مِئْزَرى
أرى الموتَ ممدودَ اليدينِ كمُنقذٍ ... لمثلىَ من غرْقَى الحياة مُسَخَّر
دعانى ، ولو أنى على النفس مُشفقٌ ... مَدَدْتُ إليه الكفَّ لم أتأخَّر
أروسُ أرى الماضى يُطيفُ خيالُه ... وتعرِضُ لى أحلامُهُ فى التذكر
ذكرتُ بروما أرْبُعٍ وملاعبى ... وأين ضفافُ النيل من شطِّ تَيْبَرَ ؟
وأيامَ يدْعونى الهوى فأُجيبُه ... وَينفُخ فى البُوق المنادى فأنْبَرى
فَتَنْتُ الغوانى بُرْهــةً وفتَنَّنى ... ولــكننى عن سُؤْدَدٍ لم أُقصر
فهِمّةُ قلبى فى شرابٍ وصَبْوَةٍ ... وهِمَّةُ نفسى فى علاءٍ ومَفْخَر
أروسُ تواقفنا على كل غَمْرَةٍ ... وكلِّ مجالٍ ثائرِ النَّقْعِ أكْدَر
وفى مِهْرَجان الفاتحين وعُرسِهم ... وتحت لِواءٍ أو على عُودِ مِنْبر
فمالتْ بنا الدنيا فصِرْنا بموقفٍ ... شديدٍ على الأبطال بالذل مُشعِر
نرى الأرضَ فيه والسماءَ تناهتا ... الى فَلَكٍ نَحْسِ الجهاتِ مُسمَّر
فكيف مُقامى يا أُروسُ على الأذى ... وصبرى على العيش الذليل المكدَّر!

أُروس :

أجلْ قيصرُ اعتضْنا من العزِّ ذِلَّةً ... ومن حِلْيةِ الأعلام عُطْلَ التنَــكُّر
فهُنَّا كأنقاض الحصون على الثَّرى ... وضعنا عليه كالقنا المتَــكَسِّر

نهيمُ كأبناء السبيل وطالما أخفْنَا سبيلَ العاهلِ المُتكبِّر
وما مَنزِلُ الأبطال إلا رَحَى الوَغَى إذا هى دارتْ أورِواقُ المُعَسْكر

أنطونيو:

فماذا ترى أوروسُ ؟

أروس : رأيك أوّلٌ وعندك تُرجى نظرةالصدق فانظر
لقدعِشتُ ظِلاًّلاأرى غيرَما ترَى ولا خيرَ فى الرأىِالتَّبيع المُسيَّر

أنطونيو:

أروس أنا الأعمى وأنت هى العصا فخُذْ بِزمام العاجز المُتحيِّر

أروس :

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفس محتومُ القضاء المُقدَّر

أنطونيو:

وماذا يقولُ العاجِزون إذا ابتُلُوا ؟

أروس : يقولون حُكْمُ اللهِ يانفسُ فاصبرى

أنطونيو:

أروسُ يقومُ العاثرون وقلّما يُقالُ عِثارُ الكوكب المُتَغوِّر
أرُوس ألم تفهم؟ هو الذلُّ فاشفنى بِضَرْبةِ سَيْفٍ أو بِطَعنةِ خَنجَرَ

فإنك حرٌ إنْ فعلتَ وفائز	بسيفي وأثوابي ودِرْعي ومِغفَري

أُروس :

مَعاذَ خِلالِ البرّ مولاي ! أَعفِني	فليس يدي تقوَى ولا السيفُ يجتري
وأنت الذي لو بِيعَ بالروح وُدُّه	ومالي سوى روحي تقدّمت أشتري
لآلهةِ الرومان أشكوكَ قيصري	ظَلَمْتَ فلم تُنصِفْ وَلأْيٍ وتقدُرِ
أتجعلُ في الميزان حُبّي وطاعتي	وشتّى عُروضٍ من ثِيابٍ وجَوْهرِ؟
لقد جاد لي بالسيف والدّرع قيصرٌ

« يطعن نفسه بخنجره »

وجُدتُ بأيامِ الحيـاةِ لقيصر

أنطونيو:

أوروسُ عفواً قد ذهبتَ ضحيةً	وجَنَى عليك تَرددي المقوتُ
فعلمتَ مِني كيف يجبُنُ قيصرٌ	وعلمتُ منك العبدُ كيف يموتُ

« يطعن أنطونيو نفسه فيخر على الارض جريحا »

« ينتقل المشهد الى داخل المعبد حيث يدخل أنوبيس الى حجرته ويناجي أفاعيه »

أنوبيس :

هلمّ لكنّ بناتِ التـلا	ل وجِنّ الخرائب من صالْحَجَرْ
تبدّلَ من حولكنّ المـكا	نُ وأين القفارُ وأينَ الحُجَرْ !



فعلمت منى كيف يجبن قيصر   وعلمت منك العبد كيف يموت

(صفحة ٦١)

يدُ العــــلم وهى حديديةٌ حَوَتْــكنّ من جَنَبات الحفَر
وجاءت بكن إلىٰ حُجرتى أُسارَى القوارير رَهنَ الضَّرَر
أرابنىَ الناس فى أمركنّ وصرتُ حديثَهمُ والسَّمَر
وقيــل أنوبيسُ حاوٍ تسيــــلُ إليـه الأفاعى إذا ما صَفَر
وما فِتنتى بُجلودٍ لَــكُنّ مُرَقَّشَـــــةٍ كإهاب النِمِر
ولا بهيا كلَ مثــلِ العِصِىّ من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كَدِقِّ الحَصا ولا بعيونٍ كوَقْدِ الشَّرَر
ولــكن أُزاولُ علم السمو م وعلمُ السموم جليلُ الخَطر
لقد كان لى فى مُعاناته تجاريبُ أنفقتُ فيها العُمُر
الى أن نجحتُ ، نعم قــد نجحـــــتُ وعاقبة الصابرين الظَّفَر
فكم قد شفيتُ بطبى اللّديـــغَ وأنقذتُ من نَزْعِهِ المُحتَضَر
فقيل إلهٌ أعاد الحيـــــاةَ إلى الميْتِ اوخدْنُ جِنٍّ سَحر
صَنعتُ من السم ترياقَه وقــد يختفى النفعُ تحت الضرر
وأنتُنّ والناسُ قـد تلتقو ن ففيكُن شرٌّ وفى الناس شر

« يدخل حابى خلسة »

أنوبيس :

وتقتُلنَ عُمْىَ عيون السلا ح وَيقتلُ قاتلُهم عن بصرْ

لِسانُ ابنِ آدمَ أو نابُكنّ كِلا السائلْين لعابُ القدر

حابى : سلامٌ أبتِ

أنوبيس: حابى ؟ سلامٌ لكَ يا حابى

حابى : أمشغولٌ أبى اليومَ بذات القَرْن والنابِ

وأنطونيوس مهزومٌ واكتافيو على الباب ؟

أنوبيس: « باستخفاف وهو يشير الى أفعى »

حابى تقهقر ناحيهْ تلك الخبيثةُ داهيهْ !

« يتقهقر حابى قليلا بينما يلهو الكاهن أنوبيس بالحقاق والقوارير »

تلك القواريرُ وذى الحقاقُ غوْثٌ الى مُستنجدٍ يُساقُ

لكل سُمٍّ عندها ترياق !

حابى : أبتى ، مَن للرّعيّهْ من لأوطانى الشقيهْ ؟

خلِّ حياتِك فى الأسفا ط واشعُرْ بالرزيَّه

بعد حين تملأ الوا دى الأفاعى البشريَّه

أبتى . نحن من اليو م عبيدُ القيصريه

أُدنُ أُذْنيك على قُدْسها من أُذْنيه
واسمع البوقَ تجِدْ من أَحرُف الرقِّ دَوِيّا

أنوبيس: حابي تقبَّلْ هذه القِنِّينه واقبِضْ عليها بيدٍ ضنينه
فانها ذخيرةٌ ثمينه!

حابي : « لنفسه »

يا لَلسماءِ لأبي! تُراه يَسْتهزِئُ بي؟
ويحَ له، عساه جُنَّ أو لعله نبي
أوحتْ له السماء علمَ غيْبها المُحَجّب
يَعلمُ من يُلدَغُ من رَقطاءَ أو مِن عقرب
لأحمِلَنَّ حُقَّه مثلَ تميمةِ الصّبي
يا لكَ شيخاً طيِّباً يأتي بكل طيب!

« مخاطباً أنوبيس الكاهن »

ريعَ الحِمَى أبي، فكيف للحِمَى لم تَغضَبِ؟
دعِ الأفاعي واشتغلْ بالأُفْعوان الأجنب
الوطنُ الملدوغ أَوْلى اليومَ بالمُطَبِّب

أنو بيس: وأين كنت يا فتى   وأين فتيانُ الحمَى ؟
وأين فُرسانُ المقا   ل هل مَضَوْا الى الوغى؟
أدرتُمو وجوهكم   ساعةَ دارتِ الرحى
تركتمو أنطونيو   سَ وَحدَه يلقى العِدا
من أجلكم سلّ الحُسا   مَ والى الحرب مشى
ما كان ضرّكم لو الـ   ـتففتمو على اللّوا ؟
ابعد أن حلّ على النيـ   ل وواديه القضا
ولم يجِدْ من شيبهِ   ولا شبابهِ فِدا
اتيتَ تدعونى كما   تدعو العجائز السما
الرأىُ ليس نافعاً   إذا أوانُهُ مضى

« يدخل جندى من حرس الملكة »

الجندى : مولاى ، ذاتُ الجلاله

أنو بيس: الملْكةُ الآن عندى ؟

« تدخل كيلوباترا فى حاشيتها »

كيلوباترا: تحيةً يا أبتِ

أنو بيس :   سيدتى فى حُجرتى

مُرِى بمـا شئتِ يَكنْ وإن تحـدَّى قُدرتى

كيلوباترا :

أبى أعلمتَ أن الجيشَ وَلَّى وأن بوارجى أبتِ المُضِيَّا

أنوبيس :

علمتُ وكان ذلك فى حسابى وذا حابى به أفضى إليَّـا

كيلوباترا :

وهل نَبَّاكَ عن أنطونيوس وكيف جرتْ هزيمتُهُ عَليا
وما أدرى أأردوْه قتيلاً صباحَ اليوم أو أخذوه حيّا ؟
أبىِ ذهب الحليفُ فكُنْ حليفى فقد أصبحت لا آجدُ الوَلِيّا
أبى خفتُ الحوادثَ

أنوبيس : لا تُراعِى لَباةُ النيل ليس تخافُ شَيّا

كيلوباترا :

أبى لا العزلَ خِفتُ ولا المنايا ولـكن أن يَسيروا بى سَبيّا
أيوطأ بالمَناسِم تاجُ مصرٍ وتُمْتَهَنَ شعرةٌ فى مفرِقيّا ؟

أنوبيس : « باستخفاف »

لتأتِ المقاديرُ أو فلْتذَرْ تعالىْ كلوباترا ألقى النظرْ

كيلوباترا :

أفاعٍ ؟ أبى ، نَحِّها ، أَخْفِها ؟	أعوذُ بأيزيسَ من كلّ شرْ
فماذا تريدُ باحرازهن	وهل يقتنِى عاقلٌ ما يَضر ؟

أنوبيس :

أتيتُ بهن لدرس السُّمو	م ولم أَخْلُ فى علمها من نظر
أداوى بهـا أو بترياقها	مُحِبَّ الحياة أو المنتحِر

كيلوباترا : « كأنما تحدث نفسها »

	محبِ الحياة أو المنتحِر !
كفى أيها الشيخُ ! بل هات زِدْ	فما بىَ خوفٌ ولا بى خَوَرْ
و إن تكُ بى خشيةٌ فى النسا	ء فلى جُرْأةُ المَلِكات الكُبر
تكلّمْ فليست سمومُ الأرا	قم فى الخُبثِ دون سُموم البشر
فيارُبَّ صَفْوٍ سَقَيْتُ الرجا	لَ فلما تَرَوَّوْا سقوْنى الكدر

أنوبيس :

قِصارٌ وهُن سهامُ المَنو	ن وليس يَعيب السهامَ القِصَرْ
تَمَسُّ الفريسةَ مسّ السنا	ن وتمضى مَضاءَ الحسام الذَّكَر
وكلُّ الذى لَمستْ مَقتَلٌ	ولو أنشبت نابَها فى ظُفُر
إذا جَرَحَتْ لم تَقُمْ عن دمٍ	كذلك يجرحُ سهمُ القدر

ومائتُها لا يُحِسُّ المنو نَ كمَن مات في النوم لا يُحتَضر

كيلوباترا : « مرددة قوله في صوت خافت »

ومائتُها لا يُحِسُّ المنو نَ كمن مات في النوم لا يُحتضر !

ولكن أبي هل يُصانُ الجمال ؟

أنوبيس : نعم لا يَحولُ ولا يَندثر

كيلوباترا :

وهل يَطفأُ اللون ؟

أنوبيس : لا بل يُضيءُ كما رفَّ بعد القِطاف الزَّهَر

كيلوباترا :

وهل يُبطِلُ الموتُ سِحرَ الجُفو نِ ويُبلِي الفُتورَ ويُفنِي الحَوَرْ ؟

أنوبيس :

كعهد العيون بطَيفِ الكرى إذا الجَفنُ ناء به فانكسر

كيلوباترا :

أبي ، والشفاهُ ؟

أنوبيس :

لواقى الذُّبو لِ كما احتُضِر الأُقحُوانُ النَّضِر

وما الموت أقسى عليها فما ولا قُبْلةً من عوادي الكِبَر

كيلوباترا :

وما عضّة الناب ؟

أنوبيس :

وَخزٌ أخفُّ وأهْونُ من وَخزات الإِبر

كيلوباترا :

وما شبَحُ الموت ؟

أنوبيس :

ماذا أقولُ ؟

كيلوباترا : تُمَثّلُهُ لى كأنْ قد حَضَر

أنوبيس :

زعمتِ ابنتى الموتَ شخصاً يُحسُّ وعَظَّمتِ من خَطْبه ما صَغُر

وما هو إلاّ انطفاء الحيا ةِ وعَصْفُ الردَى بسراجِ العُمُر

وليس له صُورةٌ فى العيو ن على قُبْح صُورته فى الفِكَر

إذا جاء كان بَغيضَ الوجو ه، وإنْ جِىءَ كان حبيبَ الصُّوَر

كيلوباترا :

إذن هذه الرُّقْطُ فى ذمتى فصُنْها وأحسِنْ عليها السهر

وأقسمْ لتَأتِ إلىّ بهن ولو أن دونى الظُّبا والسُّمُر

أنوبيس :

يميناً بأيزيسَ أحملُهن إليك ولو فى سِلال الخُضر
إذا بات فى خطر تاجُ مِصـرَ سبقتُ إليك بهن الخطر

كيلوباترا :

أتجعـلُ لى يا أبى آيةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر ؟

أنوبيس :

هـو التين أبعثُ حابى به وبالرُّقط بين غُضون الثمر

*
* *

ابنتى ذلك مِحرا بى ادخليه للصَّلاهْ
واسكُبى الدمعَ عسى أن يَقبلَ الدمعَ الإله
هو ذو المُلْكِ الذى يبقى ويفنى ما سواه

« خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية »

الجندى الأول : تحيـا روما يحيـا قيصرْ
الجندى الثانى : روما العُظمى أبدا تنصَرْ
الجندى الثالث : ماذاك ؟ مافوق الطريق ؟ ما أُرى ؟
مِيـلا رفيـقىَّ معى لننظرا

الأول : هناك مقتولان ضَرَّجا الثرى

الثانى : نعم أرى ثَمَّ دما وخنجرا

وهيكلين من حياة أقفرا

الثالث : جُبِتَارُ يامصرِّفَ الحروبِ بارِكْ لنا فى هذه الجيوبِ !

وابعثْ لنا بالذهب المحبوبِ

الأول : ياعَجَبَ الأقدار !أنطونيوسُ؟

الثانى : أنطونيو ! أجلْ وذا أوروس !

وأحَسَبَ السيد مات بيدهْ ثم حذا العبدُ مثالَ سيِّده

لهفى على أنطونيو فى مرقدهْ

« يئن أنطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود »

أنطونيو :

ويحى أحىٌّ أنا جريحُ ؟ ماذا يُريدُ القضاء ما ذا ؟

جنودُ أكتاف أدركونى ياليتنى مِتُّ قبل هذا

جندى :

لا بل جنودُك لكن خانوك حُباً لروما

آخر : وما نَسُوكَ عليهم تحت اللواء زعيما

ترمى بهم مَطَلعَ الشمـــس أو تؤُمُّ النجوما

أنطونيو:

يا جنودى وصحابى ليس ذا وقتَ العتابِ

اتركونى وعذابى

« يغمى عليه »

جندى :

لَهَفى عليه عاده الإغماء وأوشكتْ تنزِفُه الدماء

وليس إسعافٌ وليس ماء

آخر : هَلُمَّا احملاه هَلُمَّا احمِلا وجيئا بمولا كما الهيكلا

وأمضى فأُبلِغُ أكتافيو الــحديثَ أُعرِّفُه المنزلا

« فى حجرة الكاهن — كيلوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب »

كيلوباترا :

أبى دخلتُ ونفسى حيْرَى الزِّمامِ حزينهْ

وقد تركتُ المُصَلَّى ومِلْءُ قلبى سكينه

إِن الصَّلاةَ على شد ة الزمان مُعينه

« يسمع صوت الجند من الخارج »

كيلوباترا :

ما تسمعون أصيخوا شرٌّ وهذا بريدُهْ

كان الضجيجُ بعيداً والآن يدنو بعيدُه

حابى :

أسمعتم ! ضَجةٌ صاخبةٌ وجريحٌ وجُنودٌ فى الطريقْ

ها همو قد دخلوا الدار به

أنوبيس: دارُنا الشاطئ لا يأبى الغريق

حابى :

ها همو قد حضروا

أنوبيس: يا مرحباً أعدُوًّا كان أم كان الصديق

« يدخل الجنديان اللذان يحملان انطونيوس »

كيلوباترا :

ويْحَ عيني ماذا ترى ؟ ومن المحمو لُ كالسيف فى الأكفّ خضيبا ؟

أيها الجنـدُ ما بأيديكم اليوم ؟

جندى : جريحٌ على الطريق أُصيبا

كيلوباترا :

أفتدرون مَن حملتم ؟

جندى : حَمَلنا هيكلا عزَّ فى الرجال ضريبا

قد عرفناه خيرَ من هزّ رُمحاً ونضا صارما ولاقى الحُروبا

« تتأمل كيلوباترا فى وجه الجريح »



آه أنطونيو ! حبيبي   أدركوني بطبيب

(صفحة ٧٦)

كيلوباترا :

آه أنطونيو ! حبيبي   أَدركوني بطبيب
ما تَرَوْن الأرضَ تَرْوَى   من دَم الليث الضَّبيب
أبت ، أين قوى طِبِّـــك   والسحر العجيب
هو في إغمــاءة الجُر   ح فنبّهْهُ بطيب
هو ذا يفتحُ عينيـــه   ويُصغِي لنحيبي

أنوبيس : « محاول اسعاف الجريح »

تلكَ أنفاسُه توالَى وهــذا   جسمهُ لا يزال غضّاً رطيبا
هو ذا قد تَخلّجتْ شفتاه   وتهيّـا لسانُه ليثوبا
أيهــا المَلْــكةُ ارفُقي بجريح   بات تحت الرداء جُرحا صَبيبا
لا تناديه بالدموع مِرارا   ربما ضَرَّ جُرحَه أن يُجيبا

أنطونيو :

كيلوباترا ! عَجَبٌ ! أنتِ هنا !   لم تموتي . . هم إذنْ قد كَذَبونْ

كيلوباترا :

سيدى روحي حياتي قيصرى !   آنت حيٌّ ؟

أنطونيو :   بعد حينٍ لا أكونْ

كيلوباترا :

من نَعانى كَذبا ! من قالها لك !

أنطونيو :

أولمبوسُ النذلُ الخَؤون
مَرَّ فاستوقفتُه أسألُه ... قال ماتتْ فتجرّعتُ المَنونْ
كيلوباترا زوّدينى قُبلةً ... من ثناياكِ العِذابِ الشَّبِماتْ
وأضيئى بسَناها مُقلةً ... يُسدِلُ الموتُ عليها الظُلُمات
سيقولُ الناسُ عنى فى غد ... منْ ولِى الرحمةَ وأهل الشَّمات
بَطلٌ لم تَظفَرِ الحربُ به ... فى الهوى تحت لواء الحب مات

« يسلم الروح »

كيلوباترا :

قد تَداعى مِحوَرُ الأر ... ض وميزانُ الشعوبِ
مال كالشمس جمالاً ... وجلالا فى الغروب
أَيها المجروحُ لو تد ... رى جُروحى ونُدوبى
أَيها الذاهبُ قد آ ... ن عن الدنيا ذُهوبى
أَيها الخالصُ وُداً ... ليس وُدّى بالمَشوب
أَيها الصادقُ وعداً ... ليس وعدى بالكَذوب

عن قريب ينطوى القبـــــرُ علينا عن قريب
كلّلوه بالرياحين وبالغار الرطيب
واهتفوا فى أُذْنيـه بأناشيد الحـروب

واحبيباه ، جاءه الموت فاستسْـــــلم لا يستطيع إلاّ ذهوبا
كان ما خفتُ أن يكون وحلّتْ نكبة لم تفاجىء المنكوبا

« تستوى قائمة »

أيها الجنـدُ مات قيصرُ فابكوا معىَ السيدَ الجسورَ الوَهوبا
شَبِّكوا ساعديْه من فوق صدر كان فى الرَّوْع بالمنايا رحيباً
واعرِضوا سيفَه على راحتيْه وارِكزوا الرمحَ من يديْه قريبا
لا بل امضوا لشأنكم جُندَ روما ودَعونى وسيفَ روما السّليبا
أنا وحـدى له ديارٌ وأهـلٌ إن دعا دارَه ونادى النسيبا

« ينسحب الجنود »

ويحَ لى قد طابتُ عند طِباع النا س ما عَزَّ عنـدهم مطلوبا
خَلَق الناسُ للقوىِّ المزايا وتجنَّوْا على الضعيف الذنوبا
إحتفوْا فى الحياة والموت بالغا لب فانظرْ هل عظّموا مغلوبا
شيّعوا الشاةَ جيفةً بمُداهم واتّقوا وهْو فى الرِّمام الذّيبا

أنوبيس :

الوقارَ الوقارَ يالَبْأَةَ النيـــــل ولا تجعلى الزّئيرَ النحيبا
وقِفِى للخُطوب فى عِزّة المُلــــك وفى كِبْره تُذِلّ الخطوبا

« يدخل جندى من جنود كتافيوس »

الجندى :

قيصر أكتافيوسُ آت يعودُ أنطونيوسَ قيصرْ

كيلوباترا :

قيصر ! فر الأسير منه مَن فى حمى الموت ليس يُؤسر

« يدخل اكتافيوس ومعه جنود »

اكتافيوس :

سلامٌ مَلْكةَ الوادى سلامٌ كاهنَ المُلْكِ
يقولُ الناسُ أنطونيو هنـا لم يَبتعِدْ عنك

كيلوباترا :

نعم لم نَفترقْ بعـد وإِن أمعن فى تركى
وهـذا الجسد الفانى جَلاء الرّيب والشك

اكتافيوس :

إذن قد قُضِيَ الأمـــرُ وصار الليثُ للهُلْك

كلوباترةُ لا تَخشَيْ فلن آخذَه منك !

كيلوباترا :

أبِي تهزأُ أم بالمَيْــــتِ أم بالموقفِ الضَّنك

إن اسطعتَ على ما لك من بَطش ومن فتك

وما حَوْلك من خيل وما تحتك من فُلْك

فخذْه من يد المو ت ومن عاجزةٍ تبكي !

« يدنو جندي من جنود اكتافيوس ليتحقق موت أنطونيوس »

كيلوباترا :

مكانَك يا عبدُ لا تَهتِكن على سيد الهالكين القِناعْ

تُريد لتَكشِفَ عنه الغِطا ء عسى تحته حِيلةٌ أو خداع

عَبَثَ به وهو تحت الطِّيا لِس مُلقَى السلاح قليلَ الدفاع

ولم تَحتشِمْ بُقَعاً من دم عليهن تَحسدُ مصرَ البقاع

رُوَيدَك ، ما الموتُ مُستبـــعَدٌ ولا هو مستغرَبٌ من شجاع

وإن التماوتَ فعلُ الثعا لب ليس التماوتُ فعلَ السباع

اكتافيو :

أتاك سيدتى إنه فتى طاهرُ القلب حرُّ الطباع

أراد ليحتاطَ لى جُهدَه ويُخلصَ فى خدمتى ما استطاع

تَنحَّ أخا الجندما أنت والميـ ـتَ ! الايَقْربُ الشمسَ إلاّ شُعاع !

أتأذَنُ سيدتى أن أطيـ ـف بخدِن الصِّدام رفيق الصِّراع ؟

ومن كنتُ تحت القنا ظِلَّه ومن كان ظِلّىَ تحت الشِّراع

وكنا نَشيد لروما الفخا رَ ونَجْنى لها الغارَ من كل قاع

ونأتى القِلاعَ فنحتلها و إن بعُدتْ كالنجوم القلاع

ونَركِزُ فى السهل أرْماحَ روما ونُطلِعُ أعلامَها فى اليَفاع ؟

بأذنك ؟

كيلوباترا :

قيصرُ لا إذنَ لى أينهى ويأمر من لا يطاع ؟

تصرَّف بجُثمانِه كيف شئـ ـتَ فليس له اليومَ منك امتناع

وما جثَّةُ الليث الاّ لَقىً إذا النابُ طاحت أو الظُّفْرُ ضاع ؟

« يتقدم اكتافيوس فيرفع القناع عن وجه أنطونيو »

اكتافيوس :

لقد حسَمَ الموتُ ما بيننا وغَضَّ اللَّجاجَ وفَضَّ النزاع
فمن حَقِّيَ اليومَ بل واجبٌ على أُقدِّسُهُ أن يُضاع
اقبِّلُ ما قَبَّل الغارُ منك وأهتفُ أنطونيوسُ الوَداع

« ستار »

الفصل الرابع

« فى القصر الملكى ، فى غرفة العرش ، شرفة مطلة على البحر . كيلوباترة متكئة على حافة الشرفة ، شرميون وهيلانة فى أقصى الحجرة تنهمر من عينيهما الدموع »

كيلوباترة : « كأنما تناجى نفسها »

نام «مَرْكُو» ولم أَنَمْ وتفـــرَّدتُ بالألمْ

ليت جُرْحى كجُرحه لقِيَ الموتَ فالتأم

قاتَلَ اللهُ ماضيـاً قتل المُفرَدَ العَلَم

أنطوانُ انفضِ الكرى ساعةً وانقُلِ القَـدم

قمْ كأمسِ أغنَمَ الهوى واشربِ الراحَ بالنَّغَم

وتخيَّرْ على المُنَى وتمتَّعْ من النعم

واغمرِ الأرضَ بالقنـا وتغلَّبْ على الأمم

وقُدِ الخيلَ فى الوِها د وثباً إلى القِمَم

أيهـا العينُ أبصِرى إنما كنتِ فى حُلُم!

يا شرميون بلغنا موقفاً حَرَجاً لا الرأىُ ينفعنا فيه ولا الباس

لم يبقَ ثَقبُ رجاء كنت ألمحُه إلاَّ تعرَّضَ حتى سدَّه الياسُ

« تلقى نظرة على الاسكندرية من الشرفة »

نجمى يُحدّثنى بوشْك أُفوله   اسكندريةُ : هل أقولُ وَداعا ؟
وَشَّيْتُ بِرّكِ جدولاً وخميلةً   وكسوْتُ بَحرَك عدّةً وشراعا
وأنا اللّبـاةُ وقد ملأتُك غابةً   وأنا المَهـاةُ وقـد ملأتُك قاعا
قد خِفتُ من بعدى عليكِ ممالكا   يُطلقْن فيك الفاتحـين سباعا
يَأتين زرعَك بالرّياح عواصفاً   ويجئْنَ ضَرعَك بالذئاب جياعا
فإذا الحضارةُ بعد طول بنائها   قد دُكّ ركنُ بِنائها وتداعى

شرميون :

بإيزيسَ سـيدتى بالوَلا   ء بطول التعاشر والمُصطحَبْ
بمـالى ببابك من خـدمة   ومن صُحبةٍ تُشبِهان النَّسب
على أى وجـهٍ أدَرْتِ المصيـــرَ وقَلّبت رأيَك فى المُنقلَب ؟
فهـذا السكونُ يُثيرُ الشكو   كَ وهـذا الهدوء يثيرُ الرِّيَب
وماذا اعتزمتِ ؟ وماذا كتمـــتِ ؟ أبِينِى فما بيننا من حُجُب
ولى فى حيـاتِكِ رأىٌ يُسا   قُ وليس علىَّ إذا لم يُصِب

كليوباترة :

إذن فاذكرى أن خصمى العتيـــد يخافُ انتحارى ويخشى الهربْ
وليس الذى يَشتهِى لى الحيا   ةَ ولـكن له فى حيـاتى أرَب

له في غـدٍ مَوْكِبُ الفاتحيـــن إذا أقبلوا في جلال الغَلَب
يَجرُّون في رومة الأَرجوا نَ وقد بَرَزتْ في الثياب القُشُب
وتزدانُ بالغـار هاماتُهم إذا ارتفعت في الخميس اللَّجِب
يُحاولُ قيصرُ منى المُحا لَ ويذهب في غير وجه الطلب
يُريدُ ليَعرِضَني في غـد على شعب روما كأنى سَلَب
ويفضحُ مصر وسلطانَها وتاجَ العصور وعرشَ الحِقَب
لقـد سـاء تدبيرُ اكتافيو سَ ولم يَلقَ من خُدعتى ماأحب!

« تسمع وطء أقدام »

ما ذا وراء الباب ؟

شرميون :

حسٌّ قادِم

هيلانة : أجـلْ دبيبُ حارس أو خادِمِ

كيلوباترا :

بل حارسٌ جافٍ من حَرَس القصرِ
مُعـربدُ الخَطو من نشوة النصرِ
لا تسعُ الأرض رِجليْهِ من كِبْرِ

شرميون :

مَلْكتى دعى هذه الفِكَرْ
جندُ رُومةٍ يَعْبُدُ البِدَرْ
فى سبيلها يركَبُ الغرَرْ

كيلو باترا :

شرميون صَهْ إنه حضَرْ

« يدخل حارس »

الملكة : ماذا وراءالجندى؟

الحارس : رسالة من عبد .

هل تأذنين ؟

الملكة : أدِّ

الحارس : أيها المَلْكَةُ قد جا ء إلى القصر غلامْ
فى ثياب الحقل حُلوُ الـ شكل ممشوقُ القوام
جادل الحُرَّاسَ فى حِذق ورفق بالكلام
يَدَّعى أن أباه كان عبداً للمقام
ناله بستانُ تينٍ من أياديك الجِسام

فهو يُهدى لك باكو رتَه فى كل عام

الملكة : « هامسة »

شرميونُ ذاك حابى وجَناه فى يمينهْ

جاء فى الميقات يُهدى لىَ باكورةَ تينه

« للحارس »

ألا تَقْبلُ يا حا رس منى هذه البَدْره ؟

الحارس : بشكرانٍ وهيها تَ على الشكران لى قدره

الملكة : والآن لو تُحْضِرُ لى الفلاحا لعله يُحدث لى انشراحا

إنى نسيت البَسطَ والمَزاحا

الحارس : علىّ السمع والطاعه سآتيك به الساعه

« يخرج الحارس »

الملكة: يا شرميونُ تعلّمى الدنيا و يا هيلانة اختبرى الزمانَ القاسى

إن التى حُرِستْ بأبطال الوغى باتت تُصانِعُ سِفْلَةَ الحراس

« يدخل حابى فى ثياب فلاح »
« ومعه الحارس »

هيلانة : « همسا »

حابى نعم وتلك نظرتُهْ وهذه مِشيَتُهُ وخَطرتُهْ

ياليت شعرى ما تكون سِلّتُهْ ؟

حابى : تحيـــةٌ للملَـكهْ ونعمــةٌ وَبرَكهْ

ونفسُ عبـدها لها وكلُّ ما قد ملكه

سيدتى جئت الى بحرك أُهدى سمكه

أحمِلُ تينا ولو اســـطعتُ حملت مملـكه

حابى : سيدتى

الملكة : أُدنُ فانه ابتعـدْ وقُلْ فما يسمعُ غيرَنا أحدْ

حابى : سيدتى

الملكة : حابى ، أنو بيسُ اجتهدْ لنا وأنجز الغداة ما وعدْ !

يُريدُ أَن يَشفينى مما أجـد وأن يَقِى مملـكتى عارَ الأبد

جئتَ كما يأتى لوقته المدَد

وَفيتَ لى حابى ولم تكنْ تفِى ضعِ السِّلالَ وانصرِفْ لا بل قِفِ

حتى ترى كيف يكونُ مَوقفى

« تلقى نظرة على السلال »

ما لى مُلئتُ من المنيَّة رهبةً ؟ إن المنيةَ فى رِقاب الناسِ

آسى الجراح جَزِعتُ عند لقائه والنفسُ تجزَعُ من لقاء الآسى

إنى طويتُ بِساطَ كل مُدامة لم يبقَ الا شربُ هذى الكاس
يا خادمىّ بل ابنتىّ تلطّفا فى البحث حتى تأتيا بأياس
فعسى يُغنّينى نشيدَ الموت أو نغما أُجود عليه بالأنفاس

شرميون :

مَلْكتى نادى أياسا إنه بالقُرب منكِ
هو فى المقصورة الأخرى مع الباكين يبكى
فكرُه فيكِ ولا يجسُر أن يَسألَ عنك

الملكة :

ياويحَ صَحبىَ بعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئى بهم يا شرميونُ لينظروا جَلدى فيَهدأَ بعضُ ما يَجدونا

« تخرج شرميون »

كيلوباترا — « تنحنى على زنبقة فى أصيص »

زَنبقةٌ فى الآنيهْ ضحيةُ الأنانيهْ
جَنَتْ عليها غُرْبَةَ الأسر الأكفُّ الجانيهْ
وبُدِّلتْ من سَعة الرَّبْوَة ضيقَ الباطيه
يَسقونها من جرَّة بعد العيون الجاريه

يا جارتا شأنك لا يُشْبِهُ الا شانيه
لم يبق من مُلكى العريـــض غيرُ دار خاويه
وكأنَّنـــا ذابلةٌ عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغـــنا من حياة فانيه

« ترجع شرميون ومعها أياس وأنشو وغيرهم »

الملكة : « الى أنشو »

أنشو يَعِزُّ على أنك ساهمٌ ... يبدو عليك الهمُّ والتفكيرُ
أنشو ألا قَوْلٌ يَسُرُّ وضِحْكَةٌ ... إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعت يسرنى ... أعلى سرورى اليوم أنت قدير ؟

أنشو : سيدتى جرى بما ... فيه سرورُك القدرْ
من لا تسرُّه السما ... لا يسره البشر

الملكة : أياسُ هل من صوتٍ ؟ ... غَنِّ نشيدَ الموتِ

« أياس يغنى هذا النشيد »

يا طيبَ وادى العدَمْ ... من منزلِ
لم تَمشِ فيه قدمْ ... للعُزَّلِ وادٍ خَلِ
أنا فيه لحبيبى ... وحبيبى فيه لى

***

يا موتُ مِلْ بالشِّراعْ   واحمِلْ جَريحَ الحياهْ
سِرْ بالقلوع السِّراع   إِلى شُطوط النجاه

*
* *

شِراعُك الفِضّي   فى لُجّـه التبرِى
كالحُلْمِ فى الغَمضِ   يجرى ولا يجرى

*
* *

فى ظل ليـل ساجْ   أقسم لا يَسرى
مُغَلِّ الديبـاجْ   مُطيَّبِ السِّـتر

*
* *

فى يقظةٍ يَظهـرْ   لى أم أرى حُلْمَا
فُلْكٌ من الجوهر   يَخترِقُ الظلما

*
* *

على الدجى لَمّاحْ   تَحسَبُهُ نجمـــا
ليس به مـلاّح   يسلُـكه اليمّـا

*
* *

أَضْوَى من الفجر   فى ظُلمه الأسدافْ
من نفسـه يجرى   لم يُجرِه مِجداف

*
* *

مَدّ شراعَ النورْ يا حُسنَ ما مدا
كاللؤلؤ المنثور لو ينفحُ الندا

****

يا لكَ من زورقْ ملاّحُه الأقدارْ
ينجو به المُغرَقْ من لُجّةِ الأكدار

« يدخل الحارس »

الملكة : ما وراء الحارس ؟

الحارس : الطاعة يا ذاتَ الجلاله
قائد يحملُ من قيصرَ أكتافيو رساله

الملكة : أدخله ، أدخِلْ رسولَ قيصرْ

« يخرج الحارس ويدخل القائد »

القائد : قيصرُ العالى الى سيدتى يُهدى التحيهْ
هو فى الشكنة بالقرب من الدار السنيه
يُظهِرُ العَطفَ عليها وهى بالعطف حريّه
ويقول الأمرُ ما تأمرُ فى الاسكندريه
ولها الوادى وما يحملُ مُلْكا ورعيّه

وبنوها يَرِثون المُلْـــكَ من روما الوصيه
وإذا حَلّتْ بروما وجدت روما حَفيّه
تتلقّـاها كأغلى درة فى القيصريه
ما الذى تقترحُ المَلْـكةُ ما تُملِى عَليّه
لِتقُـلْ سيدتى حا جتَها تُقْضَ العشيّه

كيلوباترا : « كأنما تناجى نفسها »

وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه !
تتلقـــاها كأغلى درة فى القيصريه !

« تضحك فى تهكم وألم »

أيهــا القائدُ أدّيْـــتَ فأحسنتَ الأداءْ
بَلّغنْ قيصرَ عنى كلَّ شـكر ودُعاء
ثم زِدْ أمنيــةً قد بَقِيَتْ لى ورجاء
أنا لا أكتمُه ما سَرَّ من أمرى وساء
وَلِىَ سرٌّ كاد عن نفـــسىَ يَزوِيه الخفَاء
صُنتُه عن صاحباتى وصِحـابى الامناء

حبـذا لو زارنى قيـــــصرُ فى هذا المَساء
وله الشكرُ اذا لم يأتِ أو إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتى لمولاىَ قيصرٍ وأنقلُ ما أبديتِ من رَغَبات
ولِمْ لا يُلبِّى دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى له مُستعجِلَ الخُطُوات ؟
وقد كان يوليوسُ يقومُ ببابه ويَمثُلُ أنطونيوسُ فى العتبات !

كيلوباترا : « بعظمة »

أساتَ أخا الرومان فهم إشارتى

القائد :

إذن فَهَبِى لى تلك من هفَواتى

« يخرج القائد »

كيلوباترا :

أرانىَ لم يُحسِنْ الىّ مُعاصرى ولم أَجِدِ الانصافَ عند لِداتى
فكيف إذا ما غيبَ الموتُ ذادتى وَبدَّد أنصارى وفَضَّ حُماتى !
كأنىَ بعدى بالأحاديث سُلِّطت على سيرتى أو وُكِّلتْ بحياتى
وبالجيل بعد الجيل يَروى زخارفاً فمن زور أخبـار وإفك رُواة
يقولون أنثى أفنت العمرَ بالهوى بهيميَّـةُ اللذات والشهوات

فِدًا لغرامى بالرجال وحُسنِهم غرامُ الغوانى أو هوى الملِكات
فليس الغلامُ البارعُ الحسنِ فتنتى ولا الرائعُ الأجلاد والعضَلات
ولم يَستثِرْ وَجدى من الروم فتيةٌ جُنونُ العذارى فتنةُ الخَفِرات
ولا كلُّ غصن من بنى مصر مائلٍ يَطيرُ اليه قلبُ كل فتاة
يموتون بى عشقاً ويَشقون بالهوى فكم من حياة فى يدى وممات
ولكن عشقتُ العبقريَّةَ طِفلةً وفى الغافلات البُلْهِ من سنواتى
كلفتُ بكهل أحرز الأرضَ سيفُه وحِيزتْ له الدنيا من الجنَبات
إذا هب من غرب البلاد تلفَّتتْ بلادٌ بأقصى الشرق منذعرات
تَعثَّرَ حظى بعد طول سلامة وأقلع نجمى بعد طول ثبات
ومن يَمش فى وَردِ الأمور وشَوْكها يَعُدَّ الخُطا أو يَحسبِ العثرات

« تنظر الى السلال »

يا مرحبا بالسلَّهْ والرُّقُبِ المُطِلَّهْ
الكافياتى الذِلّهْ

« ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحابى »

كليوباترا :

أُدخلى بى يا شرميون على طِفْلِى أُودِّعْهم الوَداع الرهيبا

فعساهم اذا تحجّب صدرى   وجدوا صدرَك الحَفِيَّ الرحيبا

« لحابى وهيلانه »

ولدىَّ أهجرا القصورَ فانى   قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا

ولها ضجةٌ وفيها فُضولٌ   يُرهِقُ الحبَّ واشيا ورقيبا

خلّيا عنكما المدائنَ يا ابنىَّ   فضوضاؤها تُميت القلوبا

إن لى فى سهول طيبةَ حقلاً   طيبَ الماء والهواء خصيبا

غَرستْه يد الشباب فأضحى   وارفا كالشباب حُسناً وطِيبا

ألِفَ الحبُّ من نواحيه أيْكا   جمع الطيرَ هاتفا ومُجيبا

يُسمِعُ البُلْبُلُ العشيقةَ فيه   وتُغنِّى الأليفةُ العَنْدليبا

افقٌ لا يظِلُّ إلا مُحِباًّ   وثرى لا يُقِلُّ إلا حبيبا

إشربا من كرومه واسقياها   صافىَ الحب والهوى المسكوبا

والعبا عند كلِّ ماءِ غديرٍ   تريا الماء للحَباب لعيبا

وسلا الوردَ هل تَنفَّسَ فى الور   د وهل ناسم البعيدُ القريبا

أدرِكا لذةَ الشروق ولماَّ   تبلغِ الشمسُ بالحياة الغروبا

« تخرج كيلوباترا وشرميون »

حابى :

هيلانُ هذا مقالُ النصح من مَلكٍ فما تَرَيْن وما تنوِينَ هيلانا
هَلُمَّ طِيبةَ نَنزلْ فى خمائلها ونَبْنِ مِثلَ بناء الطير دُنيانا
كطائرَيْن على بحرٍ وعاصفةٍ قد آنسا من وراء الشَّط بستانا
تداركتْنا أبرُّ المالكات به وأشرفُ الناس إحساساً ووِجدانا

هيلانه :

حابى عرفتَ الخِلالَ الطيّبات لِها وكنت أمسِ أقلَّ الناس عِرفانا

حابى :

خلِّى الجفاءَ حياتى إن ساعتَه مضتْ وهذا أوانُ السِّلم قد آنا
اللهُ يشهدُ أنى قد سدلتُ على ما كان من نَزَعات الرأى نسيانا
وأننى اليوم أبكيها وأندُبُها ولا أقيسُ بها فى الطهر إنسانا
اليوم ضحّتْ وزَكّاها الفِداء كما زَكّى المقرِّبُ باسم الله قُربانا

هيلانه :

إن التى شب فى نَعمائها صِغَرى ونبّهتْ لىَ فى سُلطانها شانا
إن لم أمُتْ دونها أو لم أمت معها فما جَزَيْتُ عن الإحسان إحسانا

حابى :

والحبُ هيلانَ ؟ ماذا تصنعين به

إن الصداقة فوق الحب أحيانا

هيلانه :

حابى أراها أزمعتْ وأرى الفجيعةَ واقعهْ

فأذهبْ فجئْ بأنوبسٍ فعسى يَرُدُّ الفاجعه

حابى : وســـــواءٌ أردَّها أم أبي ذلك القــدرْ

فى غــدٍ أيهــا المَلا كُ الى طيبةَ السفر

« يخرج حابى »

هيلانة : ويح حابى اعتقادُهُ أنْ سأحيا فنلتقى

ليتنى نِلْتُ قُبــلةً منه قبــــــل التفرُّق

« تدخل كيلوباترا وفى أثرها شرميون »

كيلوباترا :

بروحى وإن لم تَبْق منى بقيّةٌ صغارُ ورائى ذُوَّقُ اليُتْمِ نُوَّحُ

أذوبُ لبلواهم وأعلمُ أننى حَمَلتُ عليهم ما يَجِلُّ ويَفدَح

وقد أشتهى عيشَ الذليل لأجلهم فلا المجدُ يَرضى لى ولا النُبلُ يَسمَح

فصفحاً صغارى إن شَقِيتُم بمصرعى وإنى لأرجو أن تَغضّوا وتصفحوا

وَداعا صغارى صَيَّرَ اللهُ يُتمكم … إلى خير ما يَكفى اليتامى ويُصلِح
أطفتُ بكم والنومُ تَسرِى سِناتُه … على صفَحات كالأهلَّة تَلمَحُ
وما منكمو فى الخَزِّ إلاّ حمامةٌ … عليها طليلٌ ناعمَ الفَرْعِ أفيَح
تنامُ وما تدرى الكرى ما وراءه … ولا الصبحُ فى ظلّ الرُّبا كيف يُصبح
أتغدو على الدنيا كأمسِ طليقةً … ضُحى اليوم أم يُغدَى عليها فتُذبَح ؟

فيم هيلانةُ تبكيـ … ـن وأنت شرميون
كفكِفا الدمعَ فلا … شدةَ إلاّ وتهون
واعلما بِنتىَّ أن البؤ … سَ والنعمى دُيون

« تركع امام تمثال إيزيس »

اليومَ أقصرَ باطلى وضلالى … وخلتْ كأحلام الكرى آمالى
وصحوتُ من لَعِب الحياة ولهوها … فوجدتُ للدنيا خُمارَ زوال
وتلفّتتْ عينى فلا بمواكبى … بصُرتْ ولا بكتائبى ورجالى
وطِئتْ بساطى الحادثاتُ وأهرقتْ … كأسى وفضّتْ سامرى ونِقالى
إيزيسُ ينبوعَ الحنان تعطّفى … وتلفّتى لضراعتى وسؤالى
أنت التى بكت الأحبّةَ واشتكت … قبل الأرامل لوْعةَ الإرمال
إنى وقعتُ على رحابِك فارحمى … ذلَّ المُلوك لمجدك المُتعالى

هـل تأذنين بأن أُعجِّل نقْلتى | وأَحُثَّ عن دار الشقاء رِحالى
وعُـلاكِ ما أدعُ الحياةَ جبانةً | أو ضِيقَ ذَرْعٍ أو قطيعةَ قال
إنى انتفعْتُ بعبقرىٍّ جمالها | وتمتعتْ من عبقرىٍّ جمالى
وجمعتُ بين شعورها وعواطفى | وقرَنتُ رَحْبَ خيالها بخيالى
ووجدتُها قـد خلّدتْ أبطالَها | فبسطْتُ سلطانى على الأبطال
بنتُ الحياة أنا وتَشْهَدُ سِيرتى | ما كنتُ من أمى سوى تِمثال
منها تناولتُ الرِّياء وِراثةً | وأخـذتُ كلَّ خديعة ومِحال
وقسوْتُ قسوتَها ولِنتُ كلِينها | واقتستُ فى صَدَّى بها ووِصالى
ولربما رَشَدتْ فسِرتُ برُشدها | وغوَتْ فأغوتْنى وضل ضلالى
ووجـدتُها حبًّا يَفيضُ ولذةً | فجعلتُ لَذَّاتِ الهوى أشغالى
يومى بأيامٍ لكَثْرة ما مشت | فيـه الحيـاة وليلتى بليالى
ولقد لَقِيت من الحياة صَبيّةً | ما جـل من بؤس ورقة حال
فخلَعتُ مُلكى طفلةً وشَردتُ فى | صدر الصبا ورأى المَكارهَ آلى
شَرعتْ علىّ السوْط فى كُتّابها | واليومَ تَضربُنى بدرس غال
يا موتُ هل حَرَجٌ على مُستنجدٍ | بك أن يُسابقَ واقعَ الآجال ؟

يومى أعجّلهُ ولو لم أنتحرْ   للقيتُ يوماً ما له من تال

ياموتُ أنت أحبُّ أسراً فاسبنى   لا تُعطِ روما والشيوخَ عِقالى

ياموتُ لاتُطْفِئْ بشاشةَ هيكلى   واحفظْ ظواهرَ لمحتى وجلالى

ياموتُ طُفْ بالروح واسرقْها كما   سرق الكرى عينَ الخلىّ السالى

حتى أموتَ كما حَيِيتُ كأنني   بيتُ الخيال ودُميةُ المثّال

وكأن إغماضَ الجفون تناعسٌ   وكأن رقدتىَ اضطجاعُ دلال

سِرْ بى الى أنطونيو فى نَضرتى   ورُواء جلبابى وزينة حالى

« تقوم الى أحد السلال فتكشف التين عن افعى »

هَلُمِّى الآن مُنقِذتى هَلُمِّى   وأهلا بالخلاص وقد سعى لى

شَرَيتُ السمَّ من فيكِ المُفدى   بسلطانى وزِدتُ عليه مالى

على نابيكِ من زُرق المنايا   شفاءُ النفس من سُودِ الليالى

وبعضُ السم تِرْياقٌ لبعض   وقد يَشفى العُضَالُ من العُضال

دعوتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ   فبُعداً للحياة وللنّضَال

هَلُمِّى عانقى أفعى قصور   بها شوقٌ الى أفعى التلال

سَطتْ روما على مُلكى ولصّتْ   جواهرَ أسرتى وحُلِىَّ آلى

فرُمتُ الموتَ لم أَجُبنْ ولكن ... لعل جلالَه يَحمِي جلالى

فلا تَمشِى على تاجى ولكن ... على جسدٍ ببطن الأرض بال

وَقد علِم البريّةُ أن تاجى ... نَمتْه الشمسُ والاسرُ العوالى

يُطالبُنى به وطنٌ عزيزٌ ... وآباءٌ ودائعُهم غوالى

أأُدخلُ فى ثياب الذل روما ... وأُعرَضُ كالسبيّ على الرجال؟

وأُحدَجُ بالشماتة عن يمينى ... ويَعرِض لى التهكُّمُ عن شمالى؟

وألقى فى النّدىِّ شيوخَ روما ... مكانُ التاج من فرْقى خالى ؟

وأغشى السجنَ تاركةً ورائى ... قصورَ العز والغُرَفَ الحوالى ؟

وتَحكُمُ فىّ روما وهى خَصمى ... وتُسرفُ فى العقوبة والنَّكال؟

يَرانى فى الحبائل مُترَفوها ... وقد كانْ القياصرُ فى حِبالى

إِذن غيرُ الملوك أبى وجَدّى ... وَغيرُ طِرازهم عَمّى وخالى !

سأنزلُ غيرَ هائبةٍ إِذا ما ... تلمَّظت المنيّةُ للنزال

أموتُ كما حَييتُ لعرش مصر ... وأُبذُلُ دُونه عرشَ الجمال

حيـاةُ الذلِّ تُدفَعُ بالمنايا ... تَعالىْ حَيَّـةَ الوادى تعالي

« تتناول الافعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها الى السلة »

يا ابنتي وُدّي ... هلُمّا ... زيّنـــانِي ... للمنيهْ
غلّلاني ... طيّبـاني ... بالأفاويهِ ... الزكيه
ألبساني حُلّةً ... تُعْـــجِبُ أنطونيو ... سنيه
من ثيابٍ ... كنتُ فيهـا أتلقـــاه ... صبيـه
ناولاني التاجَ ... تاجَ الـــشمس ... فى مُلْكِ ... البريه
وانثرا ... بين ... يدىْ ... عرشى ... الريا ... حين البهيه

« تموت بين وصيفتيها »

شرميون : « تتناول من احدى السلال أفعى »

كلوباترا ويا لهفى عليـكِ يا كلوباترا
وَصيفاتُك فى الدنيا وَصيفاتُك فى الأخرى

« وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت »

هيلانه : «تفعل مافعلته شرميون»

كلوباترا ذهبتِ اليوم بالدنيـا كلوباترا
تعالىْ أيهـا الأفعىِ أريحينى أنا الأخرى

« يدخل أنوبيس وحابى »

أنوبيس :

انسلت المُهرَةُ مِن قيدْها وأفلت الطيرُ من الصائدِ !

حابى :

هيلانَ يا لهفا على الحبيبهْ على الجمال وعلى الشبيبهْ

على الفتاة الحُرَّة النجيبهْ

« يتحسس جسمها »

يا للَحياةِ ماتنى دبيبا ! أبى ... تأمّلْ جسمَها الرطيبا

واسمعْ تَجِدْ لقلبها وجيبا

أنوبيس :

حابى نسيتَ حقّةَ النجاة !

حابى : هيهاتِ أعصِيك أبى هيهاتِ !

إن أنسَ أشياءك أنسَ ذاتى !

« يخرج الحقة من جيبه »

خُـذْها

أنوبيس :

بل أسكبْ فى فم الفتاةِ لعلها تصحو من السُّباتِ

« يشتغل حابى بإيقاظ هيلانه »

أنوبيس : « على جثة كيلوباترا »

بِنتى رجوتُك للضحية والفِـدا فوجدتُ عندك فوق ما أنا راجى



« بنتى رجوتك للضحيـة والفدا فوجدت عندك فوق ما أنا راجى »

(صفحة ١٠٤)

إِنْ تُصبحي جسداً فنفسُك حرةٌ وعُلاك سالمةٌ وعِرضُك ناجي
سيقولُ بعدكَ كلُّ جيلٍ مُنصِف ذهبتْ ولكن فى سبيل التاج
وأنتِ أيضاً شرميونُ جيفهْ مُتِّ ولكنْ مِيتةً شريفهْ
ما أعظمَ الملْكةَ والوصيفهْ !

حابى : أدنُ أبى ألقِ النظرْ يا لَعجائبِ القدرْ !
أنوبيس : أحدث ترياقى الأثَرْ ؟

حابى : أنظرْ أبى ترياقَك المحسنَ ماذا منحا ؟
أنظرْ فهذا مَلَكى من رقدةِ الموتِ صحا
قد فتح العينيْن بعد اليأس من أن تُفتَحا
وهذه أنفاسُه رَيْحانُها قد نَفَحا
مولاى قد قرَّبْتَ من سعادتى ما نَزَحا
أنتَ الذى رَددتَها رُوحاً وكانت شَبَحا
يا قلبُ كيف لم تَطِرْ عن الضلوع فرحا
هيلانة : يا ويحَ لى . . . ويحَ لِيَهْ هل صَدَقتنى عِينيهْ ؟
حابى . . . أفى الدنيا أنا ؟

حابى : بل أنت دنياى هنا

هيلانه : منذا جنى عليّهْ حتى بُعثتُ حيّهْ ؟

حابى : أبى الذى شفاك يامَلاكى

أنوبيس: لا بل مَلاكُ الحب قد شفاكِ

وأدمُعُ الإخــلاص من فتاكِ

هيلانه : أبى لقد مرّ علىّ الموتُ وكنتُ من عذابه نَجَوْتُ

علامَ حُلتَ بينه وبيني ؟ الموتُ لا يُذاقُ مرّتينِ

« ترى جثة الملكة وهى تلتفت »

رُحماكِ آلهةَ الوادى ذُهلتُ فلم أذكرْملاكا وراءالعرشِ مُضطجعا

بالأمس،لا،لا. بل اليومَ التحقتُ به صُرعتُ بالناقع السارى كما صُرِعا

لقد رَحلنا عن الدنيا الغَرور معا مالى رَجعتُ إلى الدنيا وما رَجعا

ليت الطبيبَ الذى داوى فأخرجنى إلى الحياة على الدنيـا به طَلَعا

مليكتى ، ربّتى ، صفحاً ومغفرةً إن المرُوءةَ كانت أنْ نموت معا

الكاهن : بُنيّتى . .

هيلانه : صَهْ أبى ،

الكاهن : لا أنتِ واهمةٌ

فلستُما فى مُلاقاة الرّدَى شَرَعا

وقفتُما موقِفاً فى الخَطْب مختلفاً   لو جَرَّبتْ فيه غيرَ الموت ما نفعا

حابى : تعالىْ نَحْيَ فى الحَقْلِ   مع الطير كما تَحيا

هَلُمِّى الحبَّ هيلاَ   نةُ فالحبُّ هو الدنيا

أبِى دونك بارِكْنا   و إنْ شئتَ فشارِكْنا

أنوبيس : إذا فارقتُ محرابى   فمن يبكى على مِصرا ؟

سأبقى ههنـا ابْنىَّ   إلى أن أقضىَ العُمرا

هَلُمّا ابنىَّ باسم الله   سِـيرا وابنيا الوكْرا

هلما جنـةَ الوادى   هلما طِيبـةَ الغرّا

لئن فرّقنـا الدهـ   ـرُ فقد تَجمعُنا الذكرى

« يخرجان »

« يسمع صوت بوق »

أنوبيس : البوق دوَّى قيصرُ أقبـلْ

« يدخل حارس »

الحارس : مولاى قيصر

« يتنحى عن الباب و يدخل قيصر وفى معيته الطبيب أولمبوس »

أنوبيس :

ما يَبتغِى قيصرُ من أسيرتهْ ؟   إنَّ التى أعـدَّها لزينته

يَدخلُ روما وهى فى كتيبته　　تَزِيدُ فى مَوكِبه وقيمته
ماتت ولم تنزِلْ على مشيئته　　بُورِكَ فى النيل وفى عقَيلته

قيصر :

آلهةَ الرومان ! ماذا أرى ؟　　إمرأةٌ تَسخَرُ من قائدِ
قد أبطلَتْ كيْدى على ضعفها　　ولم تزلْ تَسْخَرُ بالكائد
فى الجسد الحىِّ تمنِّيتُها　　لم أبغِها فى الجسد البائد

« يركع قيصر عند جثة كيلوباتره »

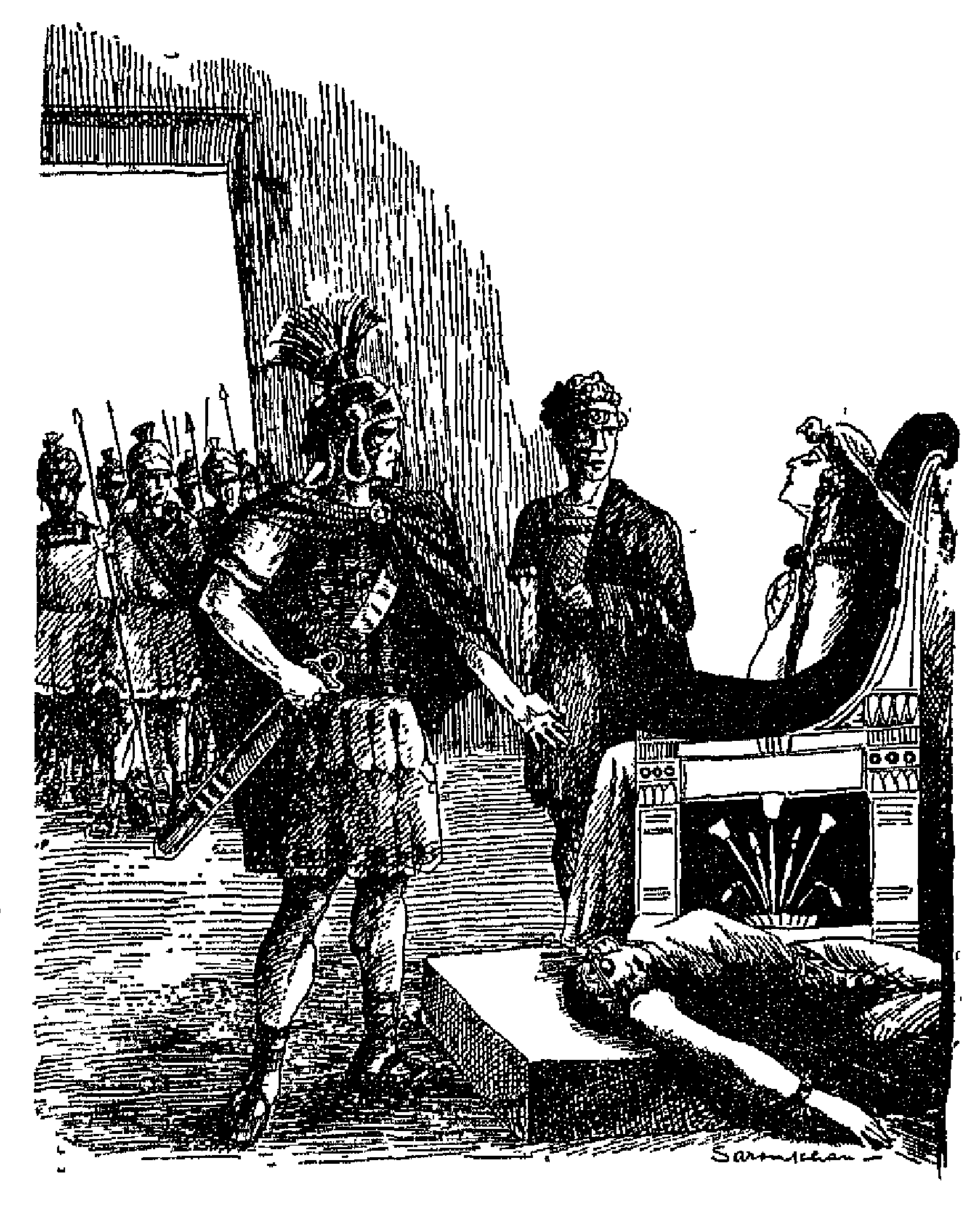
أنوبيس : « لنفسه »

الحادثُ العجيبُ　　قيصرُ والطبيبُ !
يَغدُرُها وعهدُه　　ببابها قريبُ

أكتافيو:

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلاً　　ولكن لا أرى أثرَ الجراحِ !
أليستْ فى الفَناء أرفَّ لونًا　　وأندَى من رياحين الصباحِ
فهل تدنو فتكشِفَ كيف ماتت　　أبالسم الزُّعاف أم السلاح ؟

« يقترب أولمبوس وينحنى على صدر الملكة من الناحية التى رميت فيها الافعى »



« عجيب ياطبيب أرى قتيلا ولـكن لا أرى أثر الجرح ! »

(صفحة ١٠٩)

ألمبوس :

جبين مُشرقُ الغُرّهْ ووجهٌ ضاحكٌ نَضْرَهْ

وعينان كأنَّ المو تَ فى جَفنِهما كَسْرَه

وهذا فمُها تبدو الـمنايا عنه مُفترّه

ولكن قيصرُ آدنُ أنظرْ هنا السرُّ هنا العبره

فبين السَّحر والنحر كمِثل الخَدش من إبره

مكانُ الناب من صِلٍّ شديدِ البأس والشِّرّه

« تلدغه الافعى »

إلهى ، قيصرى ، آه لقد مَسّتْ يدى جَمرَهْ

سرى السمُّ بأعضائى وعَمّتْ جسدى فَتْرَه

وجاءت سَكْرَةُ المو تِ فلاصَحوَ.. من السَّكْرَه

« ثم يسقط ميتا »

أكتافيوس

ويل النفوس من فُجَاءات القدرْ!

وويحَ ألمبوس بالأفعى عثَرْ

أنوبيس : « لنفسه »

قد وقع الحافرُ فيما قد حَفَر

قيصر :

وَداعاً كلوباترا الى يوم نلتقى وتَنفُضُ عنها الهامدينَ المقابرُ

محا الموتُ أسبابَ العداوة بيننا فلا الثارُ مِلْحاحٌ ولا الحقدُ ثائر

وما استحدثَتْ عند الكرام شَماتةً صُروفُ المنايا والجُدودُ العواثر

وَداعا وان نحن إقتتلنا وجرَّدتْ حُسامَيهما أوطانُنا والعَشائر

تَحدَّيتِنِي بالموت حتى قهرتِنِي ومالىَ سلطانٌ على الموت قاهر

ترفَّعتِ عن قيدى ومُتِّ عزيزةً وأيدى المنايا للقيود كواسر

وأنت التى نازعتِ روما مكانَها وجَرَّتْ بناديك القيودَ القياصر

لعبتِ بأنطونيو ويوليوسَ حِقْبَةً كما جاء بالمسحور أوراح ساحر

وما أنا الاَّ سيفُ رومةَ باتراً أصيبَ به سيفٌ لرومةَ باتر

زَجرتُ فلم أُسمَعْ فقاتلتُ مُكرَهاً وفى الحرب إن لم تَردَعِ السِّلمُ زاجر

أنطونيو صهرى الكريم بمثله يُطاولُ أنسابَ الملوكِ المُصاهر

وداعاً عروسَ الشرق كلُّ وِلاَية وإن هزَّتِ الدنيا لها الموتُ آخر

« يخرج أكتافيوس وحاشيته وتزف التحايا له من الابواق والحناجر خارج القصر »

انوبيس : أكثرى أيها الذئاب عُواءً   وادّعى فى البلاد عِزاً وقهرا
أنشِدى واهتِفى وغنّى وضِجّى   واسبحى فى الدماء نابا وظُفرا
لا وإيزسَ ما تملّكتِ إلا   وادياً من ضَياغم الغاب قَفرا
قَسَماً ما فتحتمو مصرَ لَكنْ   قد فَتَحتُم بها لرومةَ قبرا

ستار الختام

نظرات تحليلية

كيلوباترا والتاريخ :

فى عصر من عصور التطور السياسى الدائم على عرش مصر ، وفى النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد ، احتكت عظمة الامبراطورية الرومانية بالسياسة المصرية القديمة ، وطوت فى هذا الاحتكاك آخر صفحة من تلك المدنية الزاهرة التى اصطبغت بها مصر فى ظل البطالسة وتحت حكمهم أكثر من ثلاثة قرون

وجاء دور المؤرخ ليسجل أنباء هذا الاحتكاك فكان من حظ العلم :

أولا — أن استقى هذا التاريخ مادته من مصدرين كانا كل وسائل التاريخ القديم. فالمصدر الأول آثار يعرض لها عادة فى مثل هذه العواصف السياسية المضطربة غير قليل من التزييف والضياع . والمصدر الثانى رواة يجتهدون فى رواية الحوادث اجتهاداً ، فيخطئهم التوفيق أحيانا ، فيروونها لا كما كانت ولكن كما اشتهوا أن تكون

ثانيا — أن نهضت بهذه المهمة الخطيرة أقلام ، إما رومانية وإما مدينة لروما هوى أو ثقافة ، فسجلت هذه الأقلام تاريخ هذا الانتقال السياسى فى أسلوب قصصى ، فاز فيه قياصرة الرومان بأكاليل الغار كلها ، فالظافر من بينهم بطل ، والمخذول منهم ضحية ، وللضعيف

على كل ما فعل أو أسف علل قوية من هوى هذه الأقلام ، فى حين أن الملكة المصرية المظلومة — كيلوباترا — الممثلة الأخيرة لمجد البطالسة وسلالتهم ، والتى سوى على حساب سمعتها وكرامتها وأفول نجمها هـذا الحساب الخطير ، لم تصب منه الا ركاما من التبعات والآثام واللعنات

ظهرت حية النيل العجوز — كما نعتوها — فى هذا التاريخ ، وعمدته « بلوتارخوس » ، وفى معظم الروايات استوحته واستقت من معينه ، فى مظهر امرأة خطالة متهمة فى عفتها من حيث هى امرأة ، وفى جلالها واخلاصها لبلادها من حيث هى ملكة ، مجرد . . .

« ... أنثى أفنت العمر بالهوى بهيمة اللذات والشهوات »

خاضعة فى كل أدوار حياتها السياسية لشهوة مذبذبة ، تدفع بها رخيصة الى كل صاحب مجد أو جاه ، متصلة — ما اتصلت فى هواها — ببطل ، منفصلة — ما انفصلت — عن « حطام مبعثر مستباح » ، دائبة البحث عن فريسة جديدة تستل آمالها ، وتسلبها جلالها ، وتهيض من جناحها المحلق فى سماء المجد والخلود... وعجيب أن تقفر حياة كهذه الحياة الحافلة بالمآسى الا من هذا الركن الدنس ، وعجيب ألا يرى أولئك القصاص فى هذه النفس الطموح ظلا لأمل خير أو حلم نبيل ، وعجيب أن تجثم فى كل ناحية من نواحيها رذيلة تهب المداد لهذه الأقلام !

مرمى الرواية :

أليس المؤلف المصرى ازاء هـذا الاضطهاد الصارخ لهـذه الملكة ، المصرية بحكم الثلاثة القرون التى قضاها أجدادها العظماء على ضفاف النيل ، مستقلين عن كل نفوذ أجنبى ، أبرياء الا من العمل المتصل لمجد مصر ورفاهتها ، مستحيلة دماؤهم قطرة فقطرة الى دماء مصرية خالصة على توالى الأيام ، أليس المؤلف المصرى فى حل — ما دام البحث العلمى يكشف بين الحين والحين فى هذا التاريخ المتهم عن حلقات ضائعة أو أوهام أنزلت فيه منزل الحقائق — من إنصاف هـذه المصرية المضطهدة ، ولو الى الحـد الذى يتفق مع هيكل هذا التاريخ المجرد ، ولا يحرمها على الأقل من سمو الغاية ونبالة المقصد ؟

أعتقد أنه ليس فى حل من هذا الانصاف فقط ، ولـكنه مسئول عنه الى أن يصل البحث الحديث فى تقرير حقيقة التاريخ القديم الى آخر مداه فيعز من يشاء و يذل من يشاء

على هذا الأساس يضع مؤلفنا المصرى اليوم فى « مصرع كيلوباترا » صورتين جديدتين ، إحداهما لتاريخ كيلو باترا فى قليل من التحوير المنطق المعقول لتاريخها القديم ، والأخرى لحياة كيلوباترا حريصا فيها على أن تحاط بنفس الجو الظنين الذى يحيطها به رواة التاريخ القديم ، مانحا إياها الحق الأكبر فى الدفاع عن نفسها وعن سياستها وعاطفتها ، غير تارك لسواها من

أشخاص الرواية .إلا حظا ضئيلا من هذا الدفاع ، وهو اذ يمنحها هذا الحق دون سواها من أشخاص الرواية إنما يحرص أولا على أن يترك لأولئك الأشخاص مطلق الحرية فى تحديد هذا الجو الظنين ، وثانيا على ألا يقسو فى مس الكرامة العامة للتاريخ ، وثالثا على أن يترك الباب مفتوحا لتحقيق ما لهذا الدفاع من وجاهة فى نظر البحث الحديث المنصف

كيلوباترا فى نظر التاريخ القديم :

ولدت كيلوباترا سنة ٦٩ قبل الميلاد ، وكانت على أن تبنى بأخيها الاكبر وتتولى العرش معه ، فنوزعت فى هـذه الشركة ، ففرت الى سوريا لتعبىء جيشا هناك تستعيد به تاجها المفقود . وهناك صادفها يوليوس قيصر ، فوقعت من نفسه ، فمكنها من العرش شركة مع أصغر أخويها ، فما لبثت أن قتلته مسموما وتبعت قيصر إلى روما فاحتفى بها حفاوة أثارت سخط الرومان

وقتل قيصر فترددت كيلوباترا أى الصفين تتبع ، أصف واتريه أم صف الموتورين فيه ، حتى اذا تم النصر لخلفاء قيصر على قتلته دعاها أنطونيوس الى طرسوس لتقدم حسابا عن هـذا التردد المقصود ، وقد لبت دعوته فسارت اليه فى موكب بحرى فخم تجلت فيـه روعة الشرق وجلاله وغناه ، وكانت يومئذ فى الثامنة والثلاثين من عمرها على أبهى ما كانت من سحر وفتنة وجمال ، فما لبث أنطونيوس أن رآها حتى افتتن بها وضحى فى سبيلها

بمكانه وكبريائه ، وأخيرا بملكه ومطامعه وحياته . وقضيا الشتاء التالى فى الاسكندرية فى غرام نسيا فيه كل شيء ، وعلى أن أنطونيو قد رجع الى روما وتزوج من أكتافيا شقيقة أكتافيوس ، فقد عاد الى كيلوباترا وأقام معها وسخا لها ولأبنائها بالعطف والتكريم ، وفى نشوة هذا الجنون كان اسمه يتضاءل فى روما ، وكانت قواه السياسية والحربية تخور

وفى سنة ٣٠ قبل الميلاد اشتبك القيصران فى وقعة اكتيوم البحرية ، وكانت كيلوباترة بطبيعة الحال تؤازر بأسطولها أسطول أنطونيوس ، ففرت أثناء المعركة وفر فى أثرها حبيبها المفتون ، وبذلك كتبت عليهما الهزيمة الأولى ، ثم اشتبك الجيشان فى معركة برية على أسوار الاسكندرية ، وكاد النصر فى أولها يواتى أنطونيوس ثم سرعان ما تنكر له وتم عليهما الخذلان الأخير

وحاولت كيلوباترا أن تأسر بجمالها القيصر الظافر ، وأن تفعل به ما فعلت بأنطونيوس ، فاشتركت معه فى مفاوضات لصالحها الخاص ، وأرسلت الى أنطونيوس من أوحى اليه بموتها ، فاتكأ على ظبة سيفه حتى إذا علم فى احتضاره كذب هـذا الوحى ، أمر أن ينقل اليها حيث جاد تحت شفتيها بالنفس الأخير . وأيقنت كيلوباترا بعدئذ أن القيصر الظافر إنما يخدعها عن نفسها ، وإنما يريدها شارة ممتازة فى موكب انتصاره ، فانتحرت تاركة وراءها بنتين من أنطونيوس كفلتهما أكتافيا ، وولداً من

يوليوس قيصر (قيصرون) قتل فى عهد اكتافيوس ، وجسداً هامداً ضمه القبر الى رفات أنطونيوس ، وذكريات حية خالدة . . .

« فضن عن الملوك والقواد وصرن وحى شاعر وشادى »

« وفتنة اليراع والمداد »

وجوه الاختلاف الأساسى بين الحوادث التاريخية والحوادث الروائية :

يهمنا من هذه الحوادث ازاء الرواية ما تناول الأيام الأخيرة من حياة كيلوباترا ، تلك الأيام التى لم تتناول الرواية سواها ، فنرى :

أولا — أن فرار كيلوباترا من وقعة اكتيوم كان جبنا وعذراً فى التاريخ ، ونرى أثر هذه النظرية التاريخية فى الرواية حيث يعتب انطونيوس على كيلوباترا .

« وقلت انسحبت ضعفا وقال الناس بل غدرا »

فى حين أن هذا الفرار فى الرواية جزء من سياسة كيلوباترا — وسوف نبسطها بعد قليل — ويدل على ذلك وعلى روح هذه السياسة قول كيلوباترا

« فتأملت حالتى مليـــا وتدبرت أمر صحوى وسكرى »

« وتبينت أن روما اذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »

« كنت فى عاصف سللت شراعى منه فانسلت البوارج إثرى »

ثانيا — أن التاريخ لم يذكر أن جيش كيلوباترا فر من المعركة البرية بينما سجل المؤلف هذا الفرار فى الرواية تمشيا مع السياسية التى اختطتها كيلوباترا لنفسها ، وفى ذلك يقول أنطنيوس .

« أسطولها الى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا »

ثالثا — أن كيلوباترا هى المسئولة أمام التاريخ عن انتحار أنطونيوس بينما يبرئها المؤلف من هـذه التهمة ، ويخلق شخصية خيالية يلقى عليها هـذه التبعة ، هى شخصية الطبيب أولمبوس ، ونرى ذلك حيث تتساءل كيلوباترا فى لوعة ولهفة :

« من نعانى كذبا من قالها لك »

وإذ يجيبها أنطونيوس :

« أولمبوس النذل الخؤون »

وحيث نسمع أولمبوس فى الفصل الثانى من الرواية مهدداً ناقما :

« أوروس أنطونيو حسابكما غداً روما الأبيـة لم تنم عن ثارها »

وحيث نلمس مكمن الحيلة بين هذه النقمة وذلك الانتقام

رابعا — حاولت كيلوباترا تاريخيا أن تتصبى عدوها الظافر، وأن تغدر حبيبها المخذول ، ثم انتحرت عند ما فشلت هذه السياسية ، والمؤلف ينزهها عن هذا الأسفاف ، يجعل أول لقائها لاوكتافيوس وأول اتصاله بها عقب مصرع أنطونيوس ، ثم يجعل من هـذا الاتصال مفاوضات ، ويجعل فى هذه المفاوضات خداعا من قيصر وإباء من كيلوباترا ، فلا

نصبى ولا محاولة ايقاع فى غرام ، ثم يجعل انتحارها حرصا على تاج مصر أن يذله العرص فى روما من ناحية وذلك إذ تقول :

« سطت روما على ملكى ... ... »
« فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمى جلالى »
« فلا تمشى على تاجى ولكن على جسد ببطن الأرض بالى »

و وفاء لأنطونيوس من ناحية أخرى وذلك إذ تقول :

« أيها الذاهب قدآ ن عن الدنيا ذهوبى »
« أيها الخالص وداً ليس ودى بالمشوب »
« ... ... »
« عن قريب ينطوى القبر علينا عن قريب »

صور تحليلية لأهم أشخاص الرواية :

كيلوباترا

ما فتىء المؤلف منذ مطلع الرواية الى مقطعها يؤكد جنسية كيلوباترا المصرية وإن تحدّرت من نبعة أجنبية ، فقد كان الزمن الطويل الذى قضاه أجدادها فى مصر — كما أسلفنا — كافيا لتمصيرها .

وعبث أن نختار من الرواية قطعة دون أخرى لاثبات هذه الجنسية فالرواية كلها دليل متصل نسجل منه على سبيل المثل قولها :

« أموت كما حييت لعرش مصر   وأبذل دونه عرش الجمال »

وقولها

« موقف يعجب العلا كنت فيه   بنت مصر وكنت ملكة مصر »

ثم قولا آخر احتال فيه المؤلف على تبرير هذه الجنسية ، متحاشيا فى هذا التبرير إلا مجرد التلميح من بعيد لدمها القديم ، وذلك إذ يقول

« أخى هذا أتينى   وخلى ذاك مقدونى »

« ... ... »

« كلا الخلين ذو جد   بأرض النيل مدفون »

« فليسا فى هوى مصر   وفى طاعتها دونى »

وتصور الرواية كيلوباترا من نواح ثلاث يستحسن أن نبحثها منفصلة ، الأولى من حيث هى امرأة ، والثانية من حيث هى ملكة ، والثالثة من حيث هى شخص سياسى :

كيلوباترا امرأة :

ا — جميلة :

وأمام جمالها يتمنى زينون رأسين :

« يطأطىء رأسا لمجد النبوغ   ويخفض رأسا لمجد الجمال »

ويناجيها أنطنيوس قائلا :

« ردى على هامتى الغار الذى سلبت   فقبلة منك تعلوها هى الغار »

ويذكرها وهو يودع الدنيا :

« لما لقيتك فى الجمال وعزه   قهرت قواى الظافرات قواك »

وفى احتضاره يهتف بها :

« كلوباترا زوديني قبلة   من ثناياك العذاب الشبمات »

وهيلانة تتحدث عنها :

« لم يحو شمسين الفلك »

وأنو بيس يلقبها :

« شعاع المدائن نور القرى »

وحبرا ينبهر أمام كفها ...

« عجب عينى لا تقـ   ـوى على هذا الضياء »
« هـذه كف إلـ   ـه جاء فى زى النساء »

ورسول اكتافيوس قيصر يعجب لمولاه كيف :

« ... لا يلبى دعوة الحسن طائعا   ... ... »
« وقد كان يوليوس يقوم ببابه   ويمثل أنطونيوس فى العتبات »

ب — قوية الثقة بجمالها :

وبوحى من هذه الثقة تناجى الاسكندرية قائلة :

« وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا »

وتصف عشاقها قائلة :

« يموتون بى عشقا و يشقون بالهوى   فكم من حياة فى يدى وممات »

وحينما تفكر فى الانتحار لم يكن يشغلها من الدنيا شاغل إلا أن تحتفظ فى موتها بهذا الجمال و يبدو ذلك أولا فى الحوار بينها و بين أنو بيس :

« ولكن أبى هل يصان الجمال ؟ وهل يطفأ اللون ؟ وهل يبطل الموت سحر الجفون ؟ »

وثانيا عند ما تناجى شبح الموت :

« يا موت لا تطفىء بشاشة هيكلى واحفظ ظواهر لمحتى وجلالى »

« .... »

« حتى أموت كما حييت كاننى بيت الخيال ودمية المثال »

وتتحدث عن الحياة فتقول :

« إنى انتفعت بعبقرى جمالها وتمتعت من عبقرى جمالى »

حـ — قوية البيان :

قوة يمثلها حابى حيث يقول :

« ليسياس إنك قد سمعت حديثها كالسحر فى الآذان حين يدار »

« تبدو الخيانة فيه وهى أمانة ويرى الثبات عليه وهو فرار »

و — شاعرة :

وفى ذلك يقول لها أنطونيوس :

« وقولى الشعر علويا »

و يقول للمغنى أيام :

« غننى شعر ملاكى غننى شعر الاله »

ولها فى الرواية نشيدان «أناأنطونيو وأنطونيوأنا»

« ياطيب وادى العدم »

هـ — ولوع بالقراءة :

وفى ذلك يقول زينون :

« ... ... تنسى ملكها بلقاء الكتب أو تنسى هواها »

وقد رأينا أن لها فى قصرها مكتبة

و — الأمومة لديها كالغرام — وسوف نتحدث عنه فى موضعه — عاطفة ثانية إذا كان حب المجد وإباء الضيم فيه عاطفتها الأولى :

« وقد اشتهى عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضى لى ولا النبل يسمح »

ز — عفة الهوى :

وقد تروع القارىء هذه الحقيقة لأول وهلة ، إزاء سلسلة التهم القاسية التى وصمت بها كيلوباترا فى الرواية كما يبدو من هذه الأمثلة :

(١) « هتفوا لمن شرب الطلا فى تاجهم وأصار عرشهمو فراش غرام »

(٢) « أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟ »

(٣) « قد اجترأت على روما البغى »

(٤) «صرح أبن قل غدرت اقل جددت بقيصر الثالث دولة الهوى »

(٥) « ... ... أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات »

لكن قليلا من التفكير يرده الى وجه الصواب فالتهمة الثانية قد رماها بها حابى الذى كان يراها عن بعد فى ضوء الاشاعة السائرة ، والذى لم يلبث أن نزل عن رأيه فيها حينما عرفها عن كثب ، فعاد يعدها « أبر المالكات » و « أشرف الناس إحساسا و وجدانا » و « لا يقيس بها فى الطهر إنسانا » والتهمة الأولى قد وجهت اليها من شاب كان يشترك وحابى فى نظرته الأولى اليها ، لكنه لم يقترب منها ليرى ما رآه حابى فى النهاية . والتهمة الثالثة موجهة اليها من قائد رومانى غاضب لكرامة بلاده ، أى من خصم سياسى موتور. والتهمة الرابعة صاحبها أنطونيوس ، رماها بها ظلما فى ساعة يأس ، ثم كفر عنها بانتحاره ، وسوف نتحدث عن وفائها له بعد قليل . والتهمة الأخيرة إنما تجمع فيها كيلوباترا خلاصة ما يقال فيها وفى هواها ثم تدفعه فى قولها :

« فدا لغرامى بالرجال وحسنهم ... غرام الغوانى أو هوى الملكات »
« فليس الغلام البارع الحسن فتنتى ... ولا الرائع الاجلاد والعضلات »
« ... ... »
« ولكن عشقت العبقرية طفلة ... وفى الغافلات البله من سنواتى »

وفى قولها والضمير للحياة :

« ووجدتها قد خلدت أبطالها ... فبسطت سلطاني على الأبطال »

ح — وفية لغرامها مخلصة فيه الا حيث يصطدم هذا الغرام بوطنيتها :
فأما وفاؤها لغرامها و إخلاصها فيه فوقفها من أنطونيوس جريحا وميتا و بعد أن لم يعد يرجى منه خير ولا أمل ، وذكرها له وهى مشرفة على الموت حيث تنادى الموت قائلة

« سر بى الى أنطونيو فى نضرتى   ورواء جلبابى وزينة حالى »

وحيث تنادى وصيفتيها قائلة :

« ألبسانى حلة تعجب أنطونيو سنيه »

كل ذلك آيات على هذا الوفاء والاخلاص

وأما تضحيتها بغرامها لسياستها فعلى الرغم من أقوالها « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » « والحياة الحب والحب الحياة » « ونحن قربنا له — أى للحب — ملك الثرى » و :

« هو أعطى الحب تاجى قيصر   لم لا أعطى الهوى تاجى منا »

على الرغم من هذه العاطفة القوية التى أظهرتها كيلوباترا دائما فى مواجهة أنطنيوس ، والتى لم يؤيدها الأمر الواقع ، والتى إن دلت على شىء ، فعلى أن كيلوباترا كانت ككل امرأة سواها ...

ط — يداخلها فى حضرة حبيبها أثر المبالغة وروح الرياء :

ولعلها تعتذر عن ذلك إذ تقول والضمير للحياة :

« بنت الحيـاة أنا ... ... »

« عنها تناولت الرياء وراثة   وأخذت كل خديعة ومحال »

نعود فنقول على الرغم من كل هذا إن غرام كيلوباترا — كما سوف نرى حينما نعرض لسياستها — ما تعارض يوما مع هذه السياسة ومع ما كانت تكفل به التاج المصرى من حب ورعاية ، إلا خر هذا الغرام صريعا

بقيت نقطة أخيرة تتصل بهذا الهوى وتلك أن كيلوباترا كانت فى ساعات لهوها . . .

ى — تفنى فى هذا اللهو وتستمتع به وتنسى ما سواه :

وحسبنا فى الأشارة الى ذلك قولها :

« فاطو معى حوادث الا مس ولا تجـدد »

« وامض معى فى لذة الـ يوم ودع هم الغد »

وقولها :

« لتكونن ليـلة آخر الدهر تذكر »

« لا نبالى إذا صفت بعدها ما يكدر »

على أنها كانت تستظل فى هذا الاستمتاع بظل من الوقار يتبارى مع خلاعة الاغراق فيه ، تلك الخلاعة التى كانت سمة العصر المترف المستهتر التى عاشت فيه ، والتى نكتفى من إثباتها بالاشارة أولا إلى قول القائل :

هلا نظرت إلى الأميرة إنها سكرى تعثر فى خليع عذارها »

وثانيا إلى اتضاعها فى وليمتها حيث تترك يدها فى يسر لتكون نهبا لشفاه عراف صغير .

أما الظل الوقور الذى كانت تستظل به فى هـذه الساعات اللاهية ، والذى يبدو فى قولها :

« إجعلوها ولمية ويساطا   يتبارى خلاعة ووقارا »

فلعلها استمدته من قبس دينى ما فتىء يتردد على نفسها بين الحين والحين . وتبدو . . .

ك — مستمسكة بدينها :

إذ تهتف بانوبيس فى موضع :

« صل من أجلى ولا تذ   س صغارى فى صلاتك »

وفى موضع آخر :

« هـذا مقام صلاتى   وهيكلى للضراعه »
« ولى خطايا كثير   لا تبرح البال ساعه »
« فادخل وصل لاجلى   فمنك ترجى الشفاعه »

وفى موضع ثالث :

« أبى دخلت ونفسى   حيرى الزمام حزينه »
« وقـد تركت المصلى   وملء قلبى سكينه »
« إن الصلاة على شد   ة الزمان معينه »

وبين هذه العفة والوقار من جانب ، وهذه المتعة والخلاعة من جانب آخر جهرت كيلوباترا بهذا الاعتراف والضمير للحياة :

« ولربما رشدت فسرت برشدها   وغوت فأغوتنى وضل ضلالى »

ووصفها أنوبيس بأنها كشعاع الضحى :

« يخوض الوحول ويغشى الحلى   ويأوى الحضيض ويعلو الذرا »

« ... ... »

« ولـكنه طاهر حيث طـا   ف نقى الذيول عفيف الخطا »

كيلوباترا ملكة :

ا — قوية الشخصية :

وأظهر ما تبدو هذه القوة فى أربعة مواضع . الاول حينما تدخل على زينون بعد أن لعنها وتآمر عليها فلا يكاد يسمع تحيتها حتى يردها قائلا:

« سلام السماوات فى مجدها   على ربة التاج ذات الجلال »

والثانى حيث يقول أوروس :

« لولا الوليمة والشراب وحرمة   لاميرة الوادى السعيد ودارها »

والثالث حيث يقول أنطونيوس :

«أخرجت أمرى واختيارى من يدى   وتركتنى نفسا بغير ملاك »

والرابع حيث يؤبنها اكتافيوس :

« لعبت بأنطونيو ويوليوس حقبة   كما جاء بالمسحور أو راح ساحر »

بيد أن هذه القوة كانت تظهر أحيانا كأنها مشوبة بضعف . لـكنه ضعف مصطنع ترى فيه المرأة سلاحا من أسلحة قوتها . فهى حينما تنادى أنطونيوس .

« مكانك قيصر لا تذهبن   ولا تبرح القصر أهلك أسى »

إنما تجرب قوة دلالها، وقد أفلحت فى هذه التجربة ورأينا كيف استنهضت بهذا الدلال من حماسة أنطونيوس وكذلك عند ما تقول لاوكتافيوس :

« فخذه من يد المو ت ومن عاجزة تبكى »

فقد كان ذلك منها تهكما بتهكم ، وقد رأينا كيف وقفت بعد ذلك وقفتها فى إبائها وكبريائها الأعزل ، فاضطرت القيصر المنتصر أن ينتقل فى خطابها من سخرية الى احترام

وفى ذلك تقول هى :

« فان تك بى خشية فى النسا ء فلى جرأة الملكات الكبر »

ويقول اكتافيوس :

« قد أبطلت كيدى على ضعفها ولم تزل تسخر بالكائد »

ب — مصلحة :

وفى ذلك تناجى الاسكندرية قائلة :

« وشيت برك جدولا وخميلة وكسوت بحرك عدة وشراعا »
« وأنا اللباة وقد ملأتك غابة وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا »
« قد خفت من بعدى عليك ممالكا يطلقن فيك الفاتحين سباعا »

جـ — فخور :

ويبدو هذا الفخر على أشده حينما تجعل نفسها «ضرة روما» إذ تقول :

« اليوم تعلم روما أن ضرتها تقلد الغار من تهوى وتختار »

وحينما تقول لحابى :

« دع الذود عن مصر لى إننى أنا السيف والآخرون العصا »

وحينما تقول :

« وقد علم البرية أن تاجى نمته الشمس والاسر العوالى »

وحينا تخاطب الاسكندرية قائلة :

« وأنا اللباة وقدملأتك غابة »

وحينا تسأل العراف :

« أحضيض يومى الآخر قل لى أم سماء »

« خاتم الايام أو لى باهتمام العظماء »

د — أبية :

وآية ذلك قولها لانوبيس :

« أبى لا العزل خفت ولا المنايا ولكن أن يسيروا بى سبيا »

وقولها فى وداع حياتها .

« أأدخل فى ثياب الذل روما ... ... »

« ... ... »

« إذن غير الملوك أبى وجدى وغير طرازهم عمى وخالى »

وقولها فى وداع صغارها :

« وقد اشتهى عيش الذليل لاجلهم فلا المجد يرضى لى ولا النبل يسمع »

وفى تأبين أكتافيوس لها :

« ترفعت عن قيدى ومت عزيزة »

ه — تتألف خصومها :

واحتيالها فى اجتذاب حابى إليها عن سبيل حبه لهيلانة خير دليل

و — عطوف على أتباعها :

تقول لوصيفتها :

« أنت لى خادم ولكن كانا ... فى الملمات أهل قربى وصهر »

وتقول لها وصيفتها :

« ... ... يارب ذنب ... يتعب العذر فيه مهدت عذرى »

وقد أكسبها هذا العطف تفانيا فى حبها من أولئك الاتباع .

فانظر الى هيلانة إذ تقول :

« إن التى شب فى نعمائها صغرى ... ونبهت لى فى سلطانها شانا »

« إن لم أمت دونها أو لم أمت معها ... فما جزيت عن الاحسان إحسانا »

وإذ تقول على جثتها :

« ليت الطبيب الذى داوى فأخرجنى ... الى الحيـاة على الدنيا به طلعا »

وإذ يصل هذا التفاني الى حد التضحية بالحياة ، وإذ يتجلى الحزن الشامل على القصر ومن فيه فى الساعة التى أفل فيها نجم كيلوباترا وأشرفت على مفارقة الحياة ، إنظر الى كل هذا تجد أن أولئك الاتباع وجدوا فى ظل كيلوباترا العطف والرفق والاحسان

ز — غفور :

ويبدو ذلك فى قولها لحابى :

« فمثلك تاب ومثلى عفا »

ح — جليد :

ونرى أثر هذا الجلد فى قولها :

« ياويح صحبى بعد طول سرورهم قعدوا الى أحزانهم يبكونا »
« جيئى بهم ياشرميون لينظروا جلدى فيهدأ بعض ما يجدونا »

ط — تكره التملق :

وفى ذلك تقول لحبرا :

« خلنى من زخرف المد ح ومن زور الثنــاء »

سياسة كيلوباترا :

تقول كيلوباترا لاوروس :

« الحرب فنك أورو س والسياسة فنى »

فهل هذا صحيح ؟

لقد كانت كيلوباترا بعيدة النظر حينما عتبت على أنطونيوس عقب انتصاره فى اليوم الأول من يومى المعركة البرية على أسوار الاسكندرية أن ترك خصمه من غير أن يضربه الضربة القاضية بعد أن اقتحم عليه مضاربه

« تركتهم لغد ؟ هذى مجازفة غد غيوب وأسرار وأقدار »

وقد أثبتت هزيمة أنطونيوس فى اليوم التالى بعد هذا النظر

وكانت كيلوباترا بعيدة النظر كذلك حينما استشفت من خــلال ذلك العرض المعسول الذى عرضه عليها أكتافيوس :

« ولها الوادى وما يحـ مل ملـكا ورعيـه »
« وبنوها يرثون المل ك من روما الوصيه »
« واذا حلت بروما وجدت روما حفيه »

شبح الحيلة والخداع ، فكادت له كيدا اضطره أن يقف أمام جثتها موقف المنهزم يقول :

« قد أبطلب كيدى على ضعفها ... ... »
« فى الجسد الحى تمنيتها لم أبغها فى الجسد البائد »

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد اختطت كيلوباترا لنفسها سياسة خاصة فى هذه الراوية ، وقد ظلت أمينة على تنفيذها حتى النهاية ، وقد فشلت فى هذه السياسة فشلا أفقدها حبها وتاجها وحياتها ، وأفقد مصر ما كان لها من شبه حرية واستقلال

ونعرض الآن هذه السياسة ثم نتناولها بالبحث لنرى مواطن ضعفها وكيف انتهت الى هذا المصير

كانت كيلوباترا أسيرة عواطف ثلاث :

الاولى — حبها لمصر وحرصها على مستقبل تاجها . وقد رأينا أن الرواية ملأى بدلائل هذا الحب والحرص حينما تكلمنا عن جنسية كيلوباترا

الثانية — حبها لانطونيوس . ومن العبث أن نستشهد على هذا الحب بنجواها الغرامية المتصلة وحدها كلما جمع المجال بينها و بين أنطونيوس ، فلقد تتهم هذه النجوى بشىء من المبالغة والرياء ، وخير أن نقصر هذا

الاستشهاد على حديثها عنه فى غيبته ، إذ تقول :

« علم الله قد خذلت حبيبى »

وإذ تقول فى موقف آخر

« هو أنطنيوس ذخرى وطريفى وتليـدى »

وعلى الوفاء له بعد موته وقد أسلفنا عليه الدليل ، ومهما يكن من اتقاد هذه العاطفة فى قلبها فقد كانت لديها كما قلنا عاطفة ثانوية ، كلما تعارضت مع حبها لمصر ، فى سـبيل وطنها كانت مستعدة للتضحية بكل شىء ، وكانت تعتقد حقيقة أن . . .

« المجد لا يسأل عن صاحبـة ولا ولد »

وكانت مخلصة حينما استنهضت حماسة أنطونيوس بهذه الكلمة الجامعة .

« عد ظافراً أو لا تعد »

وآية استعدادها للتضحية بغرامها فى سبيل سياسة بلادها قولها عقب فرارها من اكتيوم :

« علم الله قد خذلت حبيبى وأبا صبيتى وعونى وذخرى »

« والذى ضيع العروش وضحى فى سبيلى بألف قطر وقطر »

« موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر »

الثالثة — بغضها لروما وإشفاقها من طغيان سلطانها المـكين

ويبدو هذا البغض فى عدة مواضع :

منها قولها :

« لا تسيروا على ولائم روما سرفا فى الفسوق واستهتارا »

ومنها قول أحد القواد الرومان لزميل له :

« أتسمع ما تقول عدو روما ؟ »

وقولها :

« دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا »

وقولها :

« حبرا أعندك سحر يشل طاغوت روما ؟ »

« ويجعل الناس فيها حجارة ورسوما »

وقولها فى موقف مفاضلة بين ألوان الشراب :

« دنان مصر لا دنان الروم »

ثم شعور الناس جميعا — حتى خصومها — بذلك البغض ، وفى ذلك يقول حابى لزينون قبل أن ينزل عن رأيه فيها :

« ولم يبق على الود لروما غير زينون »

واشباعا لهذه العواطف جميعا رسمت كيلوباترا لنفسها ثلاث غايات :

الأولى — أن تستخلص الشرق لنفسها مستقلا عن كل نفوذ

الثانية — أن تضعف قوى روما ما استطاعت مع المحافظة على قواها هى

الثالثة — أن تعكس الآية السياسية الموجودة يومئذ ، فتسود روما من خلال سيادة قيصر ضعيف ، تضمن أن يخضع لفتنة جمالها دائما ، كما تضمن أن يخشى قوة بأسها ثانيا ، وكل هذه الشروط كانت تجتمع فى أنطونيوس

وتجمل كيلوباترا غايتها الأولى والثالثة فى قولها لانطونيوس :

« أنت لروما فى غد وقيصرون بعد غد »

« والشرق سلطانى الذى إكليله لى انعقد »

ثم تبسط غايتها الثالثة اذ تقول :

« قلت روما تصعدت فترى شطــــراً من القوم فى عداوة شطر »

« ... ... »

« وتبينت أن روما اذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »

والوسيلة التى ظنتها كيلوباترا كفيلة بتحقيق هذه الغايات ، أن تقف من القيصرين المتحاربين موقف الحياد ، فقد كانت تؤمن بتكافؤ قواهما الحربية ، لانهما « تقاسما الفلك والجيش » وبات كلاهما . . . .

« ... ... شطــــرا من القوم فى عداوة شطر »

وقد أثبت تداول النصر بينهما قبل المعركة الفاصلة صدق هذا اليقين . وقدرت كيلوباترا أن حيادها هذا يكفل لها الاحتفاظ بقواها فى البر والبحر بينما ينهك القتال قوى القيصرين — المنتصر منهما والمخذول — حتى اذا قرت الحرب بينهما ظهرت بجيشها وأسطولها ، لتجهز على اكتافيوس — اذا ظفر — وهو متعب منهوك ، ولتحيى أنطونيوس — اذا كان هو الظافر — تحية القوى للضعيف ، لا تحية التابع للمتبوع . لكن الحياد الصريح كان معناه المحتوم أن تفقد أنطونيوس ، وأن تفقد كل أمل فى هواه، وأن ينهار بفقدان هذا الامل صرح أمانيها جميعا ، فاصطنعت كيلوباترا

لنفسها حيادا مقنعا تتظاهر فيه بالقيام بنصيبها من أعباء الحرب الى جانب أنطونيوس ، حتى إذا نشبت المعركة فرت بجيشها أو أسطولها ، تاركة لغرام أنطونيوس القوى مهمة التماس الاعذار لضعفها وفرارها من حومة القتال، ناطقا على لسانه :

« فقلت انسحبت ضعفا وقال الناس بل غدرا »
« ولو كان لهم قلب كقلبى التمسوا العذرا »

ومهمة أخرى هى إلقاء تبعة الغدر والخيانة على من يشاء من قوادها :

« فيا قائد الأسطول هل من مكيدة تدبر لى خلف الشراع وما أدرى ؟»

وما من شك أنها مهمات يسيرة ، إزاء مهمة الاعتذار لخيانتها السافرة لو أنها وقفت منه موقف الحياد الصريح ! وما من شك كذلك أن هذه المهمات قد أداها غرام أنطنيوس بنجاح فقد عفا عن ضعف حبيبته مرتين ومات راضيا عنها كل الرضاء

ونستطيع استخلاص هذه الخطة التى اتخذتها كيلوباترا من أربعة مواضع :

الأول — فى موقف كيلوباترا من حاشيتها بعد وقعة أكتيوم ، تبرر فرارها فى هذه الابيات :

« قلت روما تصدعت فترى شطـ ـرا من القوم فى عداوة شطر »
« بطلاها تقاسما الفلك والجيـ ـش وشبا الوغى ببحر وبر »
« فتأملت حالتىّ مليـا وتدبرت أمر صحوى وسكرى »
« وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »

« كنت فى عاصف سللت شراعى　　منه فانسلت البوارج إثرى »
« خلصت من رحى القتال ومما　　يلحق السفن من دمار وأسر »

الثانى — فى قول أنطونيوس :

« أسطولها إلى مراسيه أوى　　وجيشها ألقى السلاح ونجا »

ولقد يلقى قول كيلوباترا فى استقبال أنطونيوس على أثر عودته ظافراً فى اليوم الأول من يومى المعركة البرية

« هو والله نشيدى　　والمغنون جنودى »
« والخاريق التى تخفـــق من بعد بنودى »

لقد يلقى هذا القول ظلا من الشك على مسايرة خطة الانسحاب من المعركة لسياق الرواية ، يعززه أن أنطونيوس لم يأخذ عليها فرارها من هذه المعركة كما أخذ عليها فرارها من اكتيوم ، لكن هذا الظل المريب يتضاءل ويفنى حينما نعلم أولا أن كيلوباترا لم تشترك فى هذه المعركة بتاتا ، فقد « آلى وأقسم » أنطونيوس :

« ... ... لا يرى فى قصرها　　حتى يقوم بجده النهار »

وظل فى حنقه وغضبه منها « بأقرب ثكنة » من الاسكندرية :

« يدعو من الرومان — وحدهم — من يختار »
« ويعد أهبته ليوم حاسم　　فى البر يغسل عنه فيه العار »

وحينما نتمشى ثانيا مع قول كيلوباترا قليلا ، فنسمعها فى فرحها بعودته تقول :

« ولديها فارس ملـــتثم شاكى الحديد »

« هو أنطونيوس ذخرى وطريفى وتليـــدى »

فهى لم تفرق بين جنود أنطونيوس وأعلامه ، و بين جنودها هى وأعلامها ، ولـكن ذكرت نوعا واحـداً من الجنود والاعلام والأناشيد ، وقالت هم جنودى وأعلامى وأناشيدى ، لأنها فى غرورها الفخور وفى ثقتها بجمالها وحب أنطونيوس لهـا وحبها لأنطونيوس ، كانت تعتقد ما قالت « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، وترى على هذا أن كل ماله إنما هو ملك لها ، وكان أنطونيوس بدوره يتنامى فى انتصاره عتبه الأول ، و يتناسى فى غرامه أناشيد روما وأعلامها ، و يتخذ أناشيد مصر وأعلامها ، و يترك أسطوله « يعب تحت هذه الاعلام » وجيشه يتغنى بهذه الاناشيد ، وفاء لها بما أخذه لها على نفسه ، أنه « مصرى » وأنه « تابعها الوفى » وأنه ما فى سوى رضاها له مضى »

الثالث — قولها لانوبيس :

« وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة شبا الوغى »

أما جيشها هى فسياستها تعلم أين كان !

الرابع قولها لانوبيس كذلك :

« أبى أعلمت أن الجيش ولى وأن بوارجى أبت المضيا ؟ »

فـكيلوباترا هنا تشكوا من أن بوارجها أبت المضى ، لـكن متى حدث هذا الاباء ؟ هـل كان ذلك فى معركة اكتيوم ؟ طبعا لا ... لأنه لو كان ذلك كذلك لمـا كان هناك سبيل لشكاة كيلوباترا من أمر هى صاحبة الرأى

فيه ، ولما كان هناك سبيل للتعبير عن فرار الاسطول يومئذ بأنه « إباء » أى تمرد ، وهى الآمرة بالفرار وأسطولها لم يعد أن سمع وأطاع ، ولما كانت هناك فائدة فى إخبار أنو بيس بنبأ قد عرفه منذ حين . . . إذن لا بد أن هذه البوارج قد أبت المضى الى الحرب بعد هزيمة أنطونيوس الأخيرة ، وقد يبدو — وإن كان ذلك فى شىء من الغموض — أن كيلوباترا تنفيذاً لما بسطنا من خطتها أرادت أن تضرب اكتافيوس عقب انتصاره كما قدرت ، فأهابت بأسطولها أن يمضى فأبى هذا المضى ، وأهابت بجيشها أن يمضى فولى الادبار ... اعتاد كلاهما لذة الدعة وراحة الفرار ، ومن هـذه العادة جنت كيلوباترا ما غرست فيهما من بذور الضعف والخور ، وتحطمت خطتها وسياستها على صخرة عاتية وقفت لديها تعض بنانها ندما وتقول :

« أيها العين أبصرى   إنما كنت فى حلم »

مواطن الضعف فى هذه السياسة :

أولا — أخذ أنو بيس على هذه السياسة عامة أن كيلوباترا كان يجب أن تخلص فى عون أنطنيوس ، فيكون الأمل فى الظفر أقوى ، وذلك حيث يقول :

« تركتمو أنطونيو   س وحده يلقى العدا »
« من أجلكم سل الحسا   م والى الحرب مشى »
« ما كان ضركم لو ا   لتففتمو على اللوا ؟ »

لكن حسن الظن فى كيلوباترا قد يستطيع الاعتذار لها بأنها كانت تريد الى جانبها قيصرا ضعيفا يمكن أن يرث عنه القيصرية ولدها قيصرون ، لا قيصرا قويا قد تفقد سلطانها عليه إذا تعرض غرامه للذبول

ثانيا — قدرت كيلوباترا أن يظل أنطونيوس فى المعركة بعد فرارها فخانها التقدير ، وفر فى أثرها أنطونيوس :

« لم تأت حتى جاء فى آثارها   للحب أجنحة بهن يطار »

ثالثا — لم تقدر ما يحدثه فرارها من الضعف المعنوى فى جيش نطونيوس ، وآية هذا الضعف قول أوروس لمولاه :

« وخلفت فى عسكر كالنعا   ج كثير الثناء قليل الغنا »

« فمن يائس مات قبل القتا   ل ومن خائف فر قبل اللقا »

رابعا — صراحتها الطائشة فى إعلان بغضها لروما أمام الرومان ، واضطرارها أنطونيوس أن يظهر بهذا المظهر كذلك أمام قواده ، مما أحنق أولئك القواد وجعلهم يقولون :

« سنلبث ساعة نحتال حتى   إذا سلت عقولهمو انسللنا »

« فما المتدله السكير أهلا   لتنصره السيوف إذا استللنا »

ونرى أثر هذا الحنق حينما يقول أنطونيوس :

« جنود أكتاف أدركونى   يا ليتنى مت قبل هذا »

فيجيبه جندى رومانى :

« لا بل جنودك لكن   خانوك حبا لروما »

خامسا — عدم اتعاظها بضعف سياستها بعد معركة اكتيوم ، وتكرار الانسحاب وتكرار الهزائم

سادسا — اعتمادها على جيش وأسطول علمتهما الهرب من ساحة القتال

وقصارى ما نستطيع أن نقول فى سياسة كيلوباترا إن عينها كانت ترى ما وراء الأفق وتعمى عما تحت أنفها من عثرات ، وإن هذه السياسة ليست المسئول الوحيد عن هذه الكارثة التى انتهت بها حياة كيلوباترا ولكن هناك مسئولا آخر هو الضعف النفسى الذى تحكم يومئذ فى أنطونيوس .

***

ولعل خير إطار تحلى به هذه الصورة الجامعة المتسقة الالوان لحياة هذه الملكة هو تأبين أنو بيس لها :

« بنتى رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما أنا راجى »
« إن تصبحى جسداً فنفسك حرة وعلاك سالمة وعرضك ناج »
« سيقول بعدك كل جيل منصف ذهبت ولكن فى سبيل التاج »

أنطونيوس

رسم المؤلف صورتين لانطونيوس الجندى فى هذه الرواية .

الأولى — صورته قبل أن يتصل بكيلوباترا أيام أن كان يضحى بالهوى فى سبيل المجد

الثانية — صورة أنطونيوس بعد أن عرف كيلوباترا وأصبح يضحى بالمجد فى سبيل الهوى

ونرى الصورة الأولى حينما يذكر أنطونيوس — وهو مشرف على الموت — أيام صباه فيقول :

« وأيام يدعونى الهوى فأجيبه وينفخ فى البوق المنادى فانبرى »
« فتنت الغوانى برهة وفتننى ولكننى عن سؤدد لم أقصر »
« فهمة قلبى فى شراب وصبوة وهمة نفسى فى علاء ومفخر »
« أروس تواقفنا على كل غمرة وكل مجال ثائر النقع أكدر »
« وفى مهرجان الفاتحين وعرسهم وتحت لواء أو على عود منبر »

فنراه من خلال هذه الصورة ، شجاعا ، ظافرا ، خطيبا يشبع عاطفته ولكن إلى الحد الذى لا يقف به فى سبيل المجد عن غاية

ونرى الصورة الثانية حيث يفر أنطونيوس من معركة أكتيوم وفى ذلك يقول حافى :

« لم تأت حتى جاء فى آثارها للحب أجنحة بهن يطار »

واذ يخرج به الهوى من معركة لو استمر فيها لكتب له النصر الأخير، وذلك اذ يقول لكيلوباترا عقب انتصاره المؤقت .

« ومالت الشمس أو كادت فراجعنى شوق اليك عديم الدار سوار »
« حتى رجعت ولو أنى طردتهمو لبات اكتاف عندى وانقضى الثار »

وإذ ينسى بلاده ووطنيته وجنسيته فى حب كيلوباترا فتستطيع أن تقول :

« ... ... دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا »
« فما أنطونيو منها وان كان ابنها البكرا »

« ولكن تحت أعلامى يقود البر والبحرا »

فيسأله قائد من قواده :

« أحق مارك أنطونيو س من رومية تبرا ؟ »

فيجيبه :

« أجل أتبع مولاتى ولا أعصى لها أمراً »

وإذا تستطيع أن تقول :

« أنطونيو ما أنت رومانى ألم تقل إنك لى جندى »

فيجيبها :

« أجل وزدت أننى مصرى وأننى تابعك الوفى »

« ما فى سوى رضاك لى مضى »

وإذ يقول هو والخطاب لروما

« إن الذى بالأمس زنت جبينه بالغار عقك جهده وعصاك »

وإذ يقول له قائد من قواده :

« ألا انه ليل له ما وراءه غرامك حى فيه والمجد ميت »

وآخر :

« فما المتدله السكير أهلا لتنصره السيوف ... ... »

وثالث :

« حياته فى يديه أم فى يدى كيلوباترا »

وإذ يناجى هو « إلهته » كيلوباترا :

« أخرجت أمرى واختيارى من يدى
وتركتنى نفسا بغير ملاك »

وإذ يفقد مزية الجندى الباسل فى ساحة الوغى ، تلك المزية التى أثبتها لنفسه حين سألته كيلوباترا :

« ... ... أسالم أنت لا أسر ولا عار ؟ »

فأجاب :

« أسر ؟ وهمت كيلوباترا ... ... »

« لوقلت قتل لكان القول أشبه بى كاس المنايا على الأبطال دوار »

وتلك هى مزية الثبات التى يفقدها أنطونيوس بفراره من اكتيوم ثم فراره من المعركة البرية الثانية إذ يقول :

« جللت نفسى بعار يبقى بقاء الزمان »
« لما حملت جوادى على الفرار ازدرانى »
« وضج منى سيفى وضج منى سنانى »
« وودت الارض تحتى لو طهرت من عيانى »
« أنا الذى كان أمضى من الحديد جنانى »
« كان الملوك عبيدى فصرت عبد الحسان »

على أن المؤلف ترك له ما سوى هـذا من مزايا الجندية ، فجعله على لسان كيلوباترا :

« جيشا بمفرده فى الروع جرار »

وجعله على لسان حبرا :

« إله الحرب »

وجعله على لسان أوروس :

« إله الوغى » حيث يقول :

« رأيتك والحرب تبلو الكما ة فأشهد كنت إله الوغى »

« وقد كان سيفك غول السيو ف وكانت قناتك غول القنا »

« وكنت إذا الموت أفضى اليـ ـك تحديته فانثنى القهقرى »

وجعله على لسان جندى رومانى :

« ... ... هيكلا عز فى الرجال ضريبا »

« ... ... خير من هز رمحا أو نضا صارما ولاقى الحروبا »

وجعله على لسان كيلوباترا :

« محور الأرض وميزان الشعوب »

وجعله على لسان اكتافيوس :

« سيفا باتراً لروما »

ضمن أمثلة من هذا النوع تناثرت فى الرواية

لكن هذه المزايا الباقية لم تغن عنه شيئا إزاء ضعفه النفسى الذى أفاضه عليه اندفاعه الأعمى فى هواه ، وجعله من حيث طاعته لكيلوباترا « كبهج الاسكندرية »

ثم صور المؤلف صورة أخرى لأنطونيوس من حيث هو رجل فنراه من خلال هذه الصورة :

غفورا :

يتجلى غفرانه لكيلوباترا مرة بعد أخرى

ويبدو ذلك فى قولها له :

« وكم حقدت ثم أصبحـ ـت كأن لم تحقد »

رحيم القلب ، بشوش الوجه :

وتبدو رحمته وبشاشته فى قول كيلوباترا :

« ليس العبوس سنة لوجهك الطلق الندى »

« ولست من يغضب فى ليل الشراب والدد »

« ولست للكأس على شاربها بالمفسد »

« قلبك كنز الحب والـ رحمة والتودد »

اكتافيوس

يظهر اكتافيوس فى الرواية قائداً عظيما قويا ويبدو ذلك فى انتصاره وفى قوله « وما أنا الا سيف رومة » وفى قول كيلوباترا :

« إن اسطعت على ما لك من بطش ومن فتك »

« وما حولك من خيل وما تحتك من فلك »

وسياسيا :

ويبدو ذلك فى المعاهدة التى أراد أن يخدع بها كيلوباترا ليتخذها شارة فى موكب انتصاره

انوبيس

يتمثل فى الرواية مصريا شديد الغيرة على مصريته :

ويتجلى ذلك اذ يقول :

« إيزيس كيف أصلى على .. بونبوس قيصر »
« أبوه عال ولكن فرعون أعلى وأكبر »

وإذ يوحى الى كيلوباترا فكرة الانتحار عطفا عليها من حيث هى ملكة مصرية وحرصا على كرامة التاج المصرى ، ويتضح ذلك فى حواره حول أفاعيه واذ يختم هذا الحوار قائلا :

« يمينا بإيزيس أحملهن اليك ولو فى سلال الخضر »
« إذا بات فى خطر تاج مصر سبقت اليك بهن الخطر »

وهو من هذه الناحية موزع بين عاطفتين .

الأولى : عطفه على كيلوباترا

الثانية : بغضه لروما

ويتجلى هذا البغض فى قوله :

« حابى أحيط القصر بالذئاب وبى من السخط عليهم مابى »

لكنه لم يكن ينسى فى هذا البغض أن آمال مصر معقودة على انتصار أنطونيوس . وقد رأينا أثر ذلك فى سياسة كيلوباترا .

